مکتبتنا العربية

شعبان سنة ١٣٦٩ المجلد الحادى والعشرون

٩٨

مجلة الأزهر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

المجلد الحادى والعشرون

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدى بك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاشتراك السنوى { ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر
١٩٥٠

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

فى عهد الحكم الملكى

احتفال البعوث الإسلامية للأزهر

احتفلت البعوث الإسلامية بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول فى يوم السبت السادس من شهر مايو سنة ١٩٥٠ فى فناء كلية اللغة العربية ، فأمه عدد كبير من العظماء ، وأصحاب الفضيلة العلماء ، وكبار الموظفين ومئات من طلاب العلم تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر ، وشرف ذلك الاحتفال مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، حضرة صاحب العزة أحمد حسن بك السكرتير الخاص المساعد لجلالته .

وقد بدأت هذه الحفلة وختمت بتلاوة آيات من القرآن العظيم ، ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة ، فافتتح الحفلة بكلمة بليغة ذكر ما يخامر قلوب أفراد البعوث الإسلامية من الشعور بالعناية الملكية ، التى تحوطهم بالعطف والرعاية ، وتمكنهم من طلب العلم والعيش فى ظلاله ، بما رتبت لهم من المخصصات الشهرية والهبات السخية .

ثم عقبه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالحميد طاهر مراقب تلك البعوث ؛ فألقى كلمة بين فيها ما لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من الأيادى البيضاء على هذه البعوث ، بما يمدهم به من عطفه السامى ، ومايخصهم به من الرعاية العظيمة خدمة للدين ، وعناية بهؤلاء الطلبة الأنجاب الذى هاجروا بلادهم ، وفارقوا أهلهم طلباً للتفقه فى الدين ، ورغبة فى نشره بين أقوامهم إذا رجعوا إليهم ، فقوبلت هذه الخطبة بالإعجاب والتقدير .

مكتبتنا العربية

وبعد ذلك توالى على منبر الخطابة نحو ستة وثلاثين خطيباً من نجباء طلاب البعوث الإسلامية فألقى كل منهم كلمة، شكر الله تعالى فيها على ما حباهم من عناية جلالة الملك المعظم، فأمكنهم بفضل رعايته أن يبلغوا أربهم من تلقى العلم، ويسر لهم وسائل التوفر عليه، بما جادت به مكارمه عليهم من المرتبات الشهرية، فكان اجتماعهم فى صعيد واحد، وإجماعهم على ما يجدونه من جود جلالته وعنايته بهم، من المشاهد التى تثير الإعجاب، وتوجب الإكبار.

كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر[1]

شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مأمون الشناوى

أبنائى طلاب البعوث الإسلامية:

السلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فلقد سرنى وأبلج صدرى أنكم فى هذا اليوم السعيد المبارك، قد جمعتكم محبة مولانا الفاروق العظيم، فجئتم على قلب رجل واحد، تحتفلون بعيد جلوسه السعيد الذى فاض على البلاد بمقدمه الخير العميم، وعم بمطلعه اليمن والبركات، وامتدت هوارفه فشملت البلاد الإسلامية جميعها؛ فأصبحت كلها تستظل بظله الوارف، وتنعم بعطفه السابغ، وتستضىء بنوره الهادى.

وإنى إذ أقدر فيكم شعوركم بالوفاء لولى النعم، مولانا الفاروق المعظم الذى جمع شمل أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض فى صعيد واحد، ليربطهم جميعا برباط الأخوة الإسلامية، ويقوى بينهم أواصر المحبة والألفة والتعاون، وليملأ قلوبهم بمحبة الله، وعقولهم بالعلم والحكمة، وينير بصائرهم، ويرشدهم فى دين الله ليكونوا خير هداة لشعوبهم وأممهم إذا رجعوا إليهم، وأصلح دعاة ومرشدين تتحقق بهم أمنية الملك الصالح العظيم، من رفع لواء الإسلام فى الخافقين،

---

[١] طبعت خطب البعوث الإسلامية ووزعت على الموجودين بعد الحفلة، وقد قدمها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مأمون الشناوى بهذه الكلمة القيمة.

مكتبتنا العربية

وبعد ذلك توالى على منبر الخطابة نحو ستة وثلاثين خطيباً من نجباء طلاب البعوث الإسلامية فألقى كل منهم كلمة، شكر الله تعالى فيها على ما حباهم من عناية جلالة الملك المعظم، فأمكنهم بفضل رعايته أن يبلغوا أربهم من تلقى العلم، ويسر لهم وسائل التوفر عليه، بما جادت به مكارمه عليهم من المرتبات الشهرية، فكان اجتماعهم فى صعيد واحد، وإجماعهم على ما يجدونه من جود جلالته وعنايته بهم، من المشاهد التى تثير الإعجاب، وتوجب الإكبار.

كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر[1]

شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مأمون الشناوى

أبنائى طلاب البعوث الإسلامية:

السلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فلقد سرنى وأبلج صدرى أنكم فى هذا اليوم السعيد المبارك، قد جمعتكم محبة مولانا الفاروق العظيم، فجئتم على قلب رجل واحد، تحتفلون بعيد جلوسه السعيد الذى فاض على البلاد بمقدمه الخير العميم، وعم بمطلعه اليمن والبركات، وامتدت هوارفه فشملت البلاد الإسلامية جميعها؛ فأصبحت كلها تستظل بظله الوارف، وتنعم بعطفه السابغ، وتستضىء بنوره الهادى.

وإنى إذ أقدر فيكم شعوركم بالوفاء لولى النعم، مولانا الفاروق المعظم الذى جمع شمل أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض فى صعيد واحد، ليربطهم جميعا برباط الأخوة الإسلامية، ويقوى بينهم أواصر المحبة والألفة والتعاون، وليملأ قلوبهم بمحبة الله، وعقولهم بالعلم والحكمة، وينير بصائرهم، ويرشدهم فى دين الله ليكونوا خير هداة لشعوبهم وأممهم إذا رجعوا إليهم، وأصلح دعاة ومرشدين تتحقق بهم أمنية الملك الصالح العظيم، من رفع لواء الإسلام فى الخافقين،

---

[١] طبعت خطب البعوث الإسلامية ووزعت على الموجودين بعد الحفلة، وقد قدمها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مأمون الشناوى بهذه الكلمة القيمة.

مكتبتنا العربية

والنهضة بالشعوب الإسلامية ، نهضة تعيد لها سالف مجدها ، وتضمن لها مكانا رفيعاً ، تتصدر به أمم الأرض فى توطيد المحبة والسلام .

أرجو أن تعكفوا على العلم ، وأن تستزيدوا من المعرفة ، وأن تحرصوا على كتاب الله وسنة رسوله وفضائل دينه الحنيف ، وأن تفيدوا من هذه الفرصة الذهبية التى طوعتها لكم أريحية الملك العظيم ، بما لم يعرفه التاريخ من قبل . فقد رعاكم مولانا العظيم - رعى الله عرشه وأيد ملكه - ويسر لكم سبل الحياة ، وأفاض عليكم النعم ، وهيأ لكم كل ما يوفر لكم الانصراف إلى العلم هادئين مطمئنين . . . فاعملوا يا أبنائى جادين لترضوا الله ورسوله ، وتحققوا أمل الفاروق العظيم فيكم ، فإن الأمة الإسلامية كلها تعقد على شباب الإسلام فى ظل الفاروق المحبوب أكبر الآمال .

وإنى لأتوجه فى هذه المناسبة الكريمة باسمكم واسم الشعوب الإسلامية جمعاء ، والأزهر الشريف علمائه وطلابه ، بالتهنئة الصادقة ، إلى مولانا المعظم الملك فاروق الأول - أعزه الله - بهذا العيد السعيد ، رافعاً أكف الضراعة إلى الله أن يصون ملكه ، ويحفظ عرشه ، ويحقق للإسلام والمسلمين على يديه المجد والعظمة ، وأن يحييه حياة طيبة مباركة يعم نفعها البلاد والعباد .

والسلام عليكم ورحمة الله .

مكتبتنا العربية

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر

حضرة صاحب العزة مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك

سادتى ، أبنائى :

نحتفل اليوم بعيد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول أعزه الله ، وقد طلب أبناؤنا طلاب البعوث الإسلامية بالأزهر أن يكون لهم شرف الاحتفال بهذا العيد الميمون ، للإعراب عما تكنه نفوسهم من الحب والولاء والإخلاص لصاحب العرش المفدى .

ولما رفعت إلى مسامع جلالته هذه الأمنية تفضل حفظه الله ، فشمل هذا الحفل برعايته السامية ، وأرسل سعادة المندوب ليكون للحفل مظهر الشرف والتكريم ، وأمر بأن تهدى صورته الكريمة للطلاب رمز حبه لهم وعطفه عليهم .

وفى الحق أن تنظيم أمور البعوث الإسلامية بالأزهر لم يكن إلا جانبا من جوانب الإصلاح العامة ، التى تمت فى الأزهر بإرشادات حضرة صاحب الجلالة الملك .

فمنذ سنة ١٩٤٤ تقرر بقانون ، إنشاء قسم للبعوث الإسلامية بالأزهر وأصدر المجلس الأعلى لائحة بتنظيم هذا القسم . وبهذا التنظيم أصبح من الممكن للطالب الذى يحضر من بلاده لتلقى العلم بالأزهر أن يدخل الكليات أو المعاهد إذا أراد أن يتعلم على النظام الحديث ، أو أن ينتظم فى هذا القسم الجديد إذا أراد أن يتعلم على طريقة الأزهر الأولى .

ومع هذا فقد أعدت دراسات خاصة للطلاب الذين لا يعرفون اللغة العربية تؤهلهم للدخول فى الكليات أو المعاهد أو للسير فى هذا القسم .

وبإرشاد جلالة الملك وتوجيهاته السامية ، أعدت للبعوث مساكن مؤقتة ، ومضاءة بالكهرباء يجدون فيها راحتهم وطمأنينتهم ، كما رتبت لهم إعانات شهرية تنفعهم فى معيشتهم وتعينهم على طلب العلم .

مكتبتنا العربية

وجلالته يتعهدهم دائما بالسؤال عن أحوالهم ، وما هم عليه من راحة وهناءة . ولما بلغ إلى مسامع جلالته أن ميزانيتهم أصبحت لا تكفى أمر - حفظه الله - بصرف مبلغ عشرة آلاف جنيه مرة ، وفى هذه الأيام القريبة أمر بصرف خمسة وعشرين ألفا حتى تصدر ميزانية الأزهر العامة .

فحقيق بهم وهم ينعمون بهذه المزايا العظيمة ، والعطف السابغ ويعيشون تحت وارف ظله ، أن يذيعوا على الملأ ما يملأ قلوبهم من صادق الولاء وخالص الحب لذاته الكريمة . وأنى أكتفى بهذا وأترك لهم الفرصة لينالوا أكبر قسط من الوقت فى إذاعة كلماتهم التى أعدوها .

حفظ الله الملك ، وجعله ذخرا للإسلام والمسلمين ، ومنارا للعلماء والطلاب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

كلمة

مراقب البعوث الإسلامية

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد طاهر

حضرة صاحب العزة مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم .

فى مثل هذا اليوم منذ أربعة عشر عاما ، جلس على عرش أجداده الأمجاد ، عرش الأسرة العلوية المجيدة ، ملك إسلامى عظيم ، وملك شرقى جليل ، هو حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الملك فاروق الأول ، حفظه الله وأبقاه .

حقاً إنه ملك إسلامى بعيد المدى عظيم الأثر ؛ إذ ما كاد يتولى الملك وهو فى إبانه ونضرة شبابه ؛ حتى أخذ فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وفى رفع شأنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وكم من المشاكل الكبيرة التى وقعت فى هذه السنين الأخيرة ؛ والفضل فى حلها وتبسيطها وتذليلها ، عائد إلى جلالة الملك فاروق ، بما أعطاه الله من جاه ونفوذ وشجاعة ، وسداد رأى ومحبة وإيمان .

وإنها لمزايا خص الله بها جلالة الفاروق ، حتى جعل عرشه ملاذاً للمسلمين فى أمور دينهم ودنياهم ، كما جعل شخص جلالته رمزاً لأمانيهم ومعقداً لرجائهم وقبلة لأئمتهم ؛ وحتى صارت محبة الفاروق جزءاً من حياتهم . وإنك مهما تمش فى مناكب الأرض ، فلن تجد مسلماً يجهل الفاروق ، بل إنك لتجد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ينطقون باسم الفارق ، ويتعلقون بشخصه المحبوب ويعقدون الآمال عليه ، ويزينون بيوتهم بصورته ، ويباركون أبناءهم باسمه ، ويمتون إليه بتحياتهم ، ويدعون له فى صلواتهم .

وليس عجيباً أن ينعقد إجماع المسلمين والشرقيين على حب الفاروق ، هذا الحب النادر الفريد ، فقد مرت بالناس ظروف من الشدائد والمحن ، وثوارت

مكتبتنا العربية

فى النفوس ، دينية واجتماعية ، كادت تهدد كيان الأسرة الإسلامية الكبرى ، وتقلب الأوضاع الاجتماعية ، والأسس الدينية ، لولا نجدة الفاروق ومبادرة جلالته بإحياء القوة المعنوية ، والأخذ بالشعائر الإسلامية والتقاليد الشرقية ، وإبرازها فى أجل مظاهرها ، والحث عليها ، والدعوة لها ، والعمل بها ، فكانت بذلك حركة الإنقاذ الحاسمة ، وما ذلك إلا بفضل عناية جلالته ، ودقة توجيهاته وسرعة إرشاداته العالية النافذة .

حقا : حقا لقد أنقذ الإسلام والشرق من تلك الأباطيل المادية ، والمبادىء الهدامة ، ورفع من معنويات المسلمين والشرقيين ، فشعروا بالقوة الكامنة فيهم ، كما شعروا بقيادة الفاروق وبعد نظره .

ولقد كتب جلالة الفاروق منذ اليوم الأول أنصع صفحة فى التاريخ ، وسيبقى على الأجيال المتعاقبة أعظم مثل لشباب الملوك فى وثباتهم ورزانتهم وتجاربهم .

وإنى وقد جئت إلى هذه الصفات النادرة فى الملوك ، فلن يفوتنى أن أذكر بالتمجيد والتعظيم ملك مصر الراحل العظيم فؤاداً الأول ، أسكنه الله فسيح جناته ، وما كان له من الأيادى البيضاء التى تذكر فتشكر : هو مؤسس النهضة الفكرية والاستقلالية ، وواضع الحجر الأساسى للنشاط الثقافى والاجتماعى ، وموطد الحركة الدينية والتعليمية ، وهكذا : هذا الشبل من ذاك الأسد .

سادتى :

هذه هى جماعات البعوث الإسلامية الناضرة بالأزهر ، وفدت من جميع أنحاء العالم : تلك الشبيبة التى هى عدة الإسلام فى المستقبل ، هم سفراء أممهم إلينا كما هم سفراؤنا إلى أممهم ، هم رسل الإخاء الإسلامى ، وهم رسل التوحيد الإسلامى .

هذه الشبيبة الفتية إنما هى بعوث الأمم الإسلامية ، جاءوا فى هذا اليوم السعيد ، يحتفلون بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق ، ملك لا يرتبط ملكه بعرش دون عرش : فهو ملك لكل واحد منهم ، إذ قد تملك على الأفئدة بما أغدق عليها من نفحاته وما منحهم من تعطفاته ، حتى أكمل لهم دواعى راحتهم فى معيشتهم ودراساتهم . ولا غرو إذا كانوا ألسنة تلهج بفضل الفاروق والإشادة بعظمته وعنايته ، إخلاصاً وولاء ومحبة إلى يوم يبعثون .

مكتبتنا العربية

وقد تجلت نتائج هذا الاهتمام الملكى السامى ، فتنوعت البعوث وازداد عديدها ، وازدهرت فبلغت أقصى مابلغت إليه ، إذ وصل عددهم اليوم ألفا وستمائة طالب نجيب ؛ فى حين أنه لم يبلغ فيما مضى أكثر من نصف هذا العدد ، مع زيادة العناية بتنظيم حياتهم الاجتماعية والتعليمية والمعيشية .

سادتى :

إنى أتشرف بأن أرفع إلى المقام الملكى السامى فروض الشكر على تفضل جلالته برعاية هذا الحفل ، وإيفاد مندوبه السامى تكريما لهذه البعوث ؛ كما أدعو الله تعالى أن يحفظ جلالته ، ويديم ملكه ، ويبقيه ذخراً للإسلام والشرق .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

ذكرى وفاة الملك العظيم فؤاد الأول

فى يوم الجمعة الموافق ٢٨ من مارس سنة ١٩٥٠ اجتمع عدد كبير من كبار رجال الحكومة والعلماء والوجهاء وطلاب الجامعة الأزهرية ، للاحتفال بذكرى المغفور له الملك العظيم فؤاد الأول ، فى فناء كلية اللغة تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرحمن حسن وكيل الأزهر ، وقد شرف هذا الاحتفال سعادة أحمد حسن بك وكيل ديوان صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول .

بدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الكتاب الكريم ، ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر وألقى كلمته القيمة فى مناقب الملك فؤاد ، وما تم على يديه من اصلاحات مادية وأدبية للأمة وللبلاد ، فكان لها وقع حسن فى الأسماع والقلوب . ثم أعقبه ثلاثة خطباء من الطلبة المنتهين ، وألقى كل منهم كلمة فى تعداد مآثر المغفور له الملك الكبير على الأزهر والأزهريين .

وبعد أن تم إلقاء الخطب نهض سعادة وكيل الديوان الملكى فوزع على الأوائل المتقدمين جوائز من نقود وصور ، وتم الاحتفال بقراءة آيات من القرآن العظيم والدعاء لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق بطول البقاء .

كلمة حضرة صاحب الفضيلة وكيل الازهر

حضرة صاحب العزة مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك .

أيها السادة :

فى مثل هذا اليوم من سنة ١٩٣٦ لحق بالرفيق الأعلى عاهل مصر ساكن الجنان ، المغفور له الملك فؤاد الأول ، بعد أن أدى لشعبه الوفى خير ما يؤديه ملك عظيم لأمته ووطنه .

مكتبتنا العربية

كانت الحماية البريطانية على مصر شغله الشاغل ، كما كانت كذلك بالنسبة للأمة ، فعمل بما وهبه الله من الجلد ، والصبر وحسن التدبير لاستخلاص مصر من هذه الحماية ، وكان لعمله أثر عظيم فى تقوية روح الأمة فى جهادها وثباتها فى هذا السبيل ؛ حتى كانت منه ومن الأمة قوة عظمى ، حفزت الحكومة البريطانية على إعلان رفع الحماية واستقلال مصر ، ثم أعلن هو للملأ أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وأنه اتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة ملك مصر ، وأصدر الدستور على أحدث النظم الدستورية ، وافتتح البرلمان فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ .

كانت هذه الفترة من حياة الملك فؤاد منذ تولى عرش مصر من أشد الأيام وأشقها ، ولكن كان له من قوة نفسه ، وحسن سياسته وتقديره للأمور ما جعله ينهض بالعبء ، ويناصر الأمة فى جهادها ، ويخطو بمصر إلى الأمام حتى صارت دولة مستقلة دستورية ، تبوأت مكانتها بين أمم العالم المستقلة .

وكان للملك فؤاد أعظم الله مثواه ، شغف عظيم بالإصلاح فى شتى مرافق الأمة ، فسارت الحكومة مسترشدة بآرائه وحسن تدبيره فى الإصلاح بخطى محمودة موفقة ، حتى عم الإصلاح النواحى المختلفة من الصحة والرى والزراعة والصناعة والتشريع والتعليم وغير ذلك .

وكان للإصلاح التعاونى فى عهده الزاهر أثر ملحوظ فى سريان الروح التعاونية بين طبقات الشعب ، وإقدام الجماعات على إنشاء الجمعيات التعاونية على اختلاف أنواعها مما أفاد الأمة إفادة عظمى ، خصوصا فى الأوقات الحرجة التى مرت بها .

والتعليم ، وإن كان قد خطى فى عهده الميمون خطوات طيبة ، حيث ارتفعت فيه نسبة المتعلمين من ستة إلى ١٨ ٪ ، وفى الذكور إلى ٢٦ ٪ إلا أن هناك أمران جديران بالتنويه والإشادة بمآثره فيهما وهما : الجامعة المصرية والأزهر .

أما الجامعة المصرية التى تعد مفخرة من مفاخر مصر ، بل هى بحق مفخرة فؤاد العظيم ، فقد أشرف على تأسيسها منذ كان أميرا وعمل على إنجازها ، ومع ما صادفه وأعضاء اللجنة من الصعوبات ، أمكن افتتاحها فى سنة ١٩٠٨ ، ثم أخذ

مكتبتنا العربية

يرعاها ويتعهدها ويقويها بكل ماله من نفوذ وجاه إلى أن صارت جامعة فؤاد الأول ، ووضع بيـــده حجر الأساس لبنائها الفخم القائم الآن ، واستمرت فى رعايته الى آخر حياته .

أما الأزهر فكان رحمه الله شديد الاهتمام بشأنه ، وكان من أعز أمانيه أن تصلح أموره على الأسس الصالحة التى تمكنه من القيام برسالته على وجه يحقق الفائدة المرجوة منه ، وذلك بنشر تعاليم الإسلام بين الناس فى مصر وغير مصر ، وتعريفهم جميعا ما فيها من خير وهدى ونور .

زار جلالته الأزهر عقب توليه عرش مصر بأيام ، ووهب طلابه مبلغاً عظيما من المال ، ولم يلبث أن أصدر أمره الكريم بترتيب جائزة سنوية للمتفوقين فى شهادة العالمية ، وهى الجائزة التى توزع اليوم على الطالبين الأولين من كل كلية من الكليات الثلاث .

كان لهذه الرعاية الكريمة أثر بالغ فى نفوس الأزهريين ، لما فيه من مظهر التكريم لهم ولمعهدهم العظيم من الجالس على عرش مصر ، وقد أصدر عدة قوانين ومراسيم إصلاحية ، كان من أهمها القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٢٢ ، وهو القانون الذى نظم أقسام التخصص فى الأزهر ، فكان له أثر عظيم فى تعويد العلماء على البحث العلمى المستقل والتأليف . وفى الأزهر الآن مئات المؤلفات من الكتب والرسائل التى ألفت فى عهده الزاهر . وما الحركة الوعظية المباركة التى انتشرت فى أنحاء البلاد ، فكان لها الأثر المحمود فى إصلاح النفوس وتوجيهها إلى الخير ، إلا من آثار هذا الإصلاح فى عهده .

وبعد هذه الخطوات المباركة ، كان الإصلاح الشامل الذى قصد به أن ينهض الأزهر نهضة قوية يساير فيها النهضة العامة فى العصر الحاضر ، مع المحافظة على آثار الفكر الإسلامى وما فيه من علم ومعرفة ، فأصدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ الذى نظم الأزهر تنظيما جامعيا ، وأدخلت فى تعليمه اللغات الأجنبية والشرقية ، وأمر طيب الله ثراه بإعداد المبانى الفخمة ، التى تناسب هذا النظام ، فكان ما أراد ، ورصدت الحكومة مئات الألوف من الجنيهات لهذا الغرض .

مكتبتنا العربية

وها هو ذا الفاروق العظيم — أعزه الله — يتم ما بدأه والده العظيم من هذه المنشئات، وقريبا تتم إن شاء الله .

كان من أثر هذه النهضة الإصلاحية المباركة ، التى رباها فؤاد العظيم ، وأحاطها بعنايته وحسن رعايته ، أن اتصل الأزهر بأوربا وغيرها ، فأرسل عدة بعوث من العلماء إلى جامعات أوربا للتزود من العلم ، وأرسل بعوثا أخرى إلى بعض البلاد لنشر الدين والثقافة الإسلامية ، وتعريف الناس ما فى الإسلام من خير وصلاح للمجتمع .

وفى الحق أن لذلك فؤاد مآثر عظيمة على الأزهر والازهريين ، ولو ذهبنا نعدد مآثره من إنشاء المعاهد والأبنية الفخمة ، ورفع ميزانية الأزهر إلى أضعاف ما كانت عليه ، وغير ذلك من الشئون ، لما وسعنا هذا المقام .

رحم الله فـــؤاداً العظيم ، وجعله فى أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

بينا فى مقالنا السابق ، ما للرابطة الأدبية من تأثير على حياة الاجتماع ، وانتظام وجوده ، واطراد ترقيه ، فإذا تأثرت بأقل عارض اضطرب له جثمان المجتمع ، وتزلزلت أركانه ، وآذنت بالتصدع والانهيار ، إذا لم يبادر حفظة تلك الرابطة إلى إزالة ذلك العارض . وما الثورات التى يشب أوارها فى المجتمعات ، فتندلع ألسنته فى جميع نواحيها ، وتأتى على الأخضر واليابس منها ، إلا نتيجة كما قلنا ، لتأثر تلك الرابطة . وهى تتألف من ركنين عظيمين : دين الأمة وعاداتها المألوفة ، وتقاليدها الموروثة .

ولما كان من المحال أن تقيم الأمم على حالة واحدة من الحياة والعادات والتقاليد ، ما دام ناموس الترقى عاملا رئيسيا فى حياة الأمم ، فلا مندوحة من طروء تأثرات متوالية من ناحيته عليها ، فلا تنقطع مادة الثورات والانقلابات الاجتماعية فى أدوار متقاربة أو متباعدة من حياتها .

نعم ، قد يظهر أن ناموس الترقى عديم التأثير فى بعض الجماعات البدائية ، فإن منها من مضى عليها عشرات من القرون ، وهى ملازمة لحالة واحدة لا تريم عنها ، ولكن لذلك أسباباً طبيعية ، وهى أنها تقيم بعيدة عن العمران ، وتعيش فى بيئات مجدبة لا تحصل فيها على مقومات حياتها إلا كدا ، فلا تجد أى حافز يدفعها ، لأن تتقدم خطوة واحدة فى مجال الحياة . فإن طرأت انقلابات اقتضت أن تقرب منها جماعة أخرى أرقى منها ، وحدث اتصال بينهما ، كان ذلك فاتحة انتقال لها من حال إلى حال أخرى أرفع منها ، بما تقتبسه من وسائل جارتها ، وما تستفيده من تجاربها ، ووجد ناموس الترقى مجالا له فى بعثها من رقادها . على أنه قد شوهد أن من الجماعات من جمدت على ما هى عليه ، فأصبحت تستعصى على الترقى ولا تقبله مهما كان جذابا ، كهنود أمريكا الشمالية والجنوبية

مكتبتنا العربية

فقد احتلتهما الدول الأوربية منذ قرون، ففضل أهلها الأولون البعد عن المتمدنين والعيش على أسلوبهم متوحشين، على أن يحسنوا من شأنهم باقتباس ماهم فى حاجة اليه من نظم الاجتماع، وما هم محرومون منه من وسائل العيش الرغيد، ولا يزالون يعيشون على طريقتهم القديمة بعيدين عن العمران، وتحت تأثير عـــوامل الانقراض والفناء.

فناموس الارتقاء هـو الحافز الأول فى بث روح الثورة فى الجماعات، وهى وإن كانت تسبب كثيرا من المتاعب لها، إلا أنها بما تستتبعه من الانتقالات الأدبية والمادية تعتبر من الضروريات للجماعات. على أنها من العوامل الخطرة، وخاصة إذا كانت تشب فى طائفة تجاور أخرى مزاحمة لها فى البقاء، فإنها بما تحدثه من التفكك فى رُبُطها، وما تستدعيه من الفوضى فى نُظمها، تسهل لجاراتها الإجهاز عليها.

وإذا تأملنا فى بواعث الخلاف الذى يؤدى إلى تناحر الآحاد فى الجماعة الواحدة، تحت تأثير عوامل الارتقاء، وجدناه يرجع إلى أسباب دينية وعادية. فالأديان بما تشاب به من الخرافات، والعادات بما تلتاث به من الجمود، قد تصبح عوامل معطلة للارتقاء، وقد يدرك هـذه الحقيقة جمهور من النبهاء ويعملون على التجديد، فيخيل للجامدين أنهم أصبحوا خوارج على تراث الآباء من عادات ومعتقدات، فيحقدون عليهم، ويتداعون إلى الإيقاع بهم، فتشب نار الثورة بين الإخوان، ثم تخمد بغلبة أحد الفريقين، فإن كان الفائزون هم المحافظون، ازدادت الجماعة تقهقرا فى مجال الحياة، وإن دارت الدائرة عليهم استطاع المجددون أن يخطوا بمجتمعهم خطوة أو خطوات فى سبيل الارتقاء. وهـذا التدافع الاجتماعى لا مناص منه حتى فى أدوار الرسالات السماوية. ألم تصادف رسالة الإسلام، وهو الدين العام، من هذا التدافع، مع نصوع أدلتها، وتجلى حكمتها، ووضوح الحاجة إليها، ومن التألب على أبطالها، ما يعتبر من أغرب أطوار الحالات النفسية والعقلية للجماعات البشرية؟

كل هذا مسلَّم به، ولـكن تأمل فيما حدث بعـد أن تكونت أول جمـاعة للمسلمين: تألفت هذه الجماعة من شتى القبائل العربية، ولكل منها عقائد موروثة،

مكتبتنا العربية

وتقاليد مألوفة ، وعادات امتزجت بنفوسهم ، ككل جماعة بدائية لم يهذبها علم ، ولم تقوّمها حكمة . فهى وإن كانت قبلت الدعوة المحمدية ، فلم تتجرد من شخصيتها البدوية ، فكان المعقول أن تفهم ما يلقى إليها من التعاليم على أسلوبها ، فتحوّله إلى ما درجت عليه من سيرتها ، وتجمد عليه كما جمدت على موروثاتها قروناً طويلة . وتقع من جديد تحت سلطان ناموس الترقى ، فتكابد من جمودها وعوامله ، ما تكابده كل جماعة فى مثل عقليتها . ولكن الأمر لم يجر على هذه السنة الطبيعية ، بل جاءت سيرتها خارقة للعادة ، تعتبر بحق أكبر معجزة وقعت فى هذا العالم . ذلك أن هذه الجماعة أخذت تزداد كل يوم عدداً ، وما مضى عليها سنوات معدودة حتى انقلبت إلى أمة فاتحة ، ذات نهرة إصلاحية مدوّية ، وما هى إلا ثمانون سنة حتى أصبح لها أمبرطورية لم تنبَغ لأمة قبلها ولا بعدها ، وما بلغت سنها مائة وخمسين سنة حتى آلت إليها خلافة الله فى الأرض ، فصارت جامعاتها العلمية محجاً لطلاب العلم من جميع بقاع المعمورة ، ودورها الصناعية مورداً عذباً لطلاب الفنون الجميلة ، ومكتباتها الفخمة ملتقى لعشاق المعرفة ، وفلاسفتها وأطباؤها وفلكيوها وكيماويوها ومشترعوها أئمة لكل راغب فى الغايات القصية .

حدث كل هذا دون أن يحدث شىء من التدافع بين طوائفها ، إلا ما لابد منه عند ميلاد كل رأى جديد ، أما الثورات المسلحة ، وأما الدماء المهراقة ، وأما التطاحن الماحق لطيبات الأمم ، بسبب التنافس بين أنصار القديم ، وأصحاب الجديد ، فلم يكن له أثر فى تلك الملايين الكثيرة من المسلمين فى تلك العصور البعيدة . فأين ما ذكرناه من أفاعيل ناموس الترقى فى الجماعات البشرية ، وقد بدأ المسلمون جماعة أمية لا عهد لها بكتاب ولا علم ، وما زالت تتطور بسرعة لم تعهد فى تاريخ أمم العالم أجمع ، حتى وصلت إلى ماوصلت إليه من سعة فى الملك ، وكثرة فى العدد ، حتى صارت أكبر دولة فى الأرض ؟ فأين التدافع الاجتماعى الذى يصيب الجماعات عند كل مرحلة من مراحل التطورات المدنية ؟ بل أين الانقلابات المدوّية التى تصاحب كل حضارة فى أدوار الانتقالات التجديدية ؟

عجب لا يشبهه عجب ! لقد اتبعت هذه الأمة من سنة التطور ما يكابده الطفل من يوم ولادته حتى يبلغ أشده ، دون أن يصيبه مرض يقفه عن النمو ، ولم

مكتبتنا العربية

تؤثر عليها الفواعل المحيطة بها ، بما يحول بينها وبين بلوغ غاية نموها ، على كثرة العوامل العالمية التى كانت تحتوشها من كل جانب ، حتى صدق عليها قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

نعم إن الذين يؤمنون بالتأييد الإلهى ، والتوجيه السماوى للأمم ، هم وحدهم الذين يفهمون فى هذا الموطن معنى هذا التأييد الإلهى ؛ أما الذين لا يؤمنون به ، ويرون أن العالم يجرى على السنن الطبيعية ، دون أى تأييد فوق الطبيعة ، فلا يستطيعون أن يفهموا سر تطور المسلمين من أول مراحل الاجتماع ، حتى يصلوا إلى خلافة الله فى الأرض ، بعد سنين معدودة لا تكفى لنقل جماعة سواهم درجة واحدة من درجات الرقى ، دون أن يمنوا بانقلابات تتزلزل لها الأرض التى تحت أقدامهم ، وتضيق لها المنادح التى أمام أعينهم !

نعم إن هذا الأمر المعجز أثر ناطق للتأييد الإلهى المباشر ، وللتوجيه السماوى المحكم ، ليكون لأهل القرون المتأخرة آية تخر لها العقول ساجدة ، وتؤيدها العلوم جاهدة ، فتتغلب على الشبه والشكوك التى يثيرها الملحدون حول أمثال هذه المعجزات الخالدة . ولكن أنّى لهم إنكارها ، وقد ملأ الخافقين لألاؤها ، وعم العالمين سلطانها ، وبقيت إلى اليوم آثارها ، فلا يتسنى لأحد إنكارها ؟

قلنا إن الروابط الأدبية للأمم تتألف من ركنين : أديانها وعوائدها ، فإذا كانت الأمة الإسلامية قد مثلت معجزة اجتماعية تعتبر غاية الغايات فى الجلالة ، فإنما يرجع ذلك إلى ديانتها دون عوائدها ، لأنها أعلنت بإسلامها أنها قاطعت جميع عوائدها ، اكتفاء بما تمدها به ديانتها من آدابها ، وبذلك ينحصر سر نهضتها بتلك السرعة والثبات المحيرين للعقل ، فى ديانتها ، فرأينا أن نبدأ فى دراستها من الناحية التى نحن بصددها من العدد المقبل إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

مكتبتنا العربية

السنة التشريعية :

ولاية المرأة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكرى ياسين

أخرج البخارى وأحمد وغيرهما عن أبى بكرة نفيع بن الحارث ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى ، قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

يتصل بهذا الحديث واقعتان هامتان توضحان معناه ، وترشدان إلى الغرض المقصود منه ، وتفيدان إلى حد كبير فى بيان موقف بعض من كانت لهن فى الماضى ولاية أو قيادة ، ومعرفة مدى نجاحهن أو فشلهن فى ذلك ، وإحدى هاتين الواقعتين تتعلق بسبب ورود الحديث ، والأخرى تتعلق براويه .

فأما الأولى : فهى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كتب إلى كسرى كتاباً يقول فيه : « سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الإسلام ، فإنى رسول الله إلى الناس كافة ، لينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت ، فعليك إثم المجوس » ، ثم دفع بهذا الكتاب إلى عبد الله ابن حذافة السهمى القرشى ، وأمره أن يدفعه إلى المنذر بن ساوى العبدى عظيم البحرين ، ونائب كسرى عليها ، فذهب إليه ، وأعطاه الكتاب ، فدفعه هذا بدوره إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعا عليه بقوله : « اللهم مزق ملكه » ، فاستجاب الله دعاءه ، وسلط على كسرى ابنه فقتله ، ثم قتل إخوته ، وأفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة ، فجر ذلك إلى ذهاب

مكتبتنا العربية

ملكهم ، وتمزيق شملهم ، وإدبار الدنيا عنهم ، وانقراض أمرهم فى خلافة عمر رضى الله عنه . ذكر أصحاب المغازى أن كسرى هذا ، لما علم بأن ابنه شيرويه يعمل على قتله ، احتال هو أيضاً على قتل ابنه بعد موته ، فوضع فى بعض خزائنه المختصة به حُقا مسموما ، وكتب عليه : « حُق الجماع » — من تناول منه كذا ، جامع كذا — فلما عثر عليه شيرويه ، وقرأ ما كتب فوقه ، تناول منه كمية كبيرة ، فكان فيها هلاكه ، فلم يعش بعد أبيه سوى ستة أشهر ، ولم يخلف أخا ، لأنه كان قد قتل إخوته حرصاً على الملك ، ولم يعقب ذكرا ، وكرهوا أن يخرج الملك عن هذا البيت ، فملكوا أخته ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

وأما الواقعة الثانية المتعلقة براوى الحديث ، فهى أنه لما قتل عثمان ، وبويع على بالخلافة ، خرج طلحة والزبير إلى مكة ، فوجدا عائشة — وكانت هناك للحج — فاتفق رأيهم على التوجه إلى البصرة ، يستنفرون الناس للمطالبة بدم عثمان ، فبلغ ذلك علياً : فخرج إليهم ، فكانت الوقعة المشهورة المنسوبة إلى الجمل الذى كانت عائشة قد ركبته ، وهى فى هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح .

ولما قيل لأبى بكرة — راوى الحديث — : ما منعك أن تقاتل مع أهل البصرة يوم الجمل ؟ — ذكر كلاما سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن — ، ثم قال : لقد نفعنى الله أيام الجمل بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كدت ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم ، ثم ساق الحديث الذى معنا ، وزادت بعض الروايات فى آخره أنه قال : فعرفت أن أصحاب الجمل لن يفلحوا ، وفى رواية عن الحسن أن عائشة أرسلت إلى أبى بكرة ، فقال : إنك لأم ، وإن حقك لعظيم ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لن يفلح قوم تملكهم إمرأة » .

فهاتان الواقعتان مع اختلافهما فى الزمان والمكان : والبيئة والوسط ، والعقلية والتفكير ، تدلان بصفه عامـــة على صواب نظر الحديث وصحة وجهته ، وتشيران إلى أن كل قوم يجعلون قيادتهم فى يد إمرأة ، ويرسلون لها الحبل على الغارب ، ويعطونها مطلق الحرية ، ويتركون لها سلطة التصرف

مكتبتنا العربية

فتستبد بالأمر دون الرجال ، تفعل ما تشاء ، وتدع ما تريد بلا رقيب ولا حسيب ، ولا ناصح ولا مشير ، ولا مدبر ولا مفكر ، فلا بد أن طبيعة المرأة ستؤدى حتما بهؤلاء القوم إلى الوقوع فى الفشل والإخفاق .

نعم قد وجدت فى العصور الحديثة بعض الدول الكبرى التى كان يحمل تاج الملك فيها بعض النساء ، وقد بلغت هذه الدول فى عهدهن من الرقى والتقدم والفلاح والنجاح شأوا بعيدا ، ولكن الواقع أن تلك الدول لم تكن محكومة للمرأة حكما مطلقا ، بل كانت دولا ديمقراطية ، تعتبر المرأة فيها رمزا للتاج فقط ، وتمارس شئون الملك بواسطة رجال الهيئات المختلفة الممثلين فى السلطات : التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وفى المجالس العليا فى الجيش والبلاط والتعليم وغيرها ، وبواسطة التقاليد المرعية ، والأنظمة الدبلوماسية ، والأحكام الدستورية الكفيلة بوضع الأمور فى مواضعها ، فالحاكم فى الحقيقة هو الرجل لا المرأة .

على أن المرأة — حتى فى مثل هذه الحالة أيضا — لا يمكن لها أن تنسى طبيعتها ، ولا أن تتخلى عن سجيتها ، فلا بد من أن يفرط منها ما قد يدعو إلى إثارة المشاكل والصعاب ، ويؤدى إلى تفويت ما يراه المصلحون والمفكرون من خير وفائدة ، فإبعادها عن معترك الولايات العامة أنفع وأجدى على البلاد والعباد .

* * *

يدعونا التحقيق العلمى ، والإنصاف التاريخى بعد هذا إلى التعقيب على الواقعة الثانية بما يجلو الغامض ، ويزيل الشبهة ، فقد فهم البعض من كلام أبى بكرة أن فيه شيئا من التضعيف لموقف عائشة ، والملاحظة على رأيها ، والنقد لتصرفها ، فراح يدفع ذلك ، ويوضحه ويبين وجهته فيه ، فقال : إن ظاهر حديث أبى بكرة يوهم توهين رأى عائشة ، فيما فعلت ، وليس كذلك ، لأن المعروف من مذهب أبى بكرة ، أنه كان على رأى عائشة فى طلب الإصلاح بين الناس ، ولم يكن قصدهم القتال ، ولكن لما انتشبت الحرب ، لم يكن لمن معها بدّ من المقاتلة ، ولم يرجع أبو بكرة عن رأى عائشة ، وإنما تفرّس بأنهم يُغلبون ، لما رأى الذين

مكتبتنا العربية

مع عائشة تحت أمرها لما سمع فى أمر فارس ، ويدل لذلك أن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا فى الخلافة ، ولادعوا إلى أحد منهم ، ليولوه الخلافة ، وإنما أنكرت هى ومن معها على علىّ منعه من قتل قتلة عثمان ، وتركه الاقتصاص منهم ، وكان علىّ ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه ، فإذا ثبت على أحد بعينه أنه من قتل عثمان ، أقتص منه ، فاختلفوا بحسب ذلك ، وخشى من نسب إليهم القتل أن يصطلحوا على قتلهم ، فأنشبوا الحرب بينهم إلى أن كان ما كان ، فلما انتصر علىّ عليهم ، حمد أبو بكرة رأيه فى ترك القتال معهم ، وإن كان رأيه موافقا لرأى عائشة فى الطلب بدم عثمان .

ولكن المعتمد من مذهب أبى بكرة غير هذا ، فإنه كان يرى الكف عن القتال فى الفتنة ، فليس هو على رأى عائشة ، ولا على رأى علىّ فى جواز القتال بين المسلمين أصلا ، وإنما كان رأيه ترك القتال وفاقاً لسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وغيرهم ، ولهذا لم يشهد صفين مع عائشة ، ولا مع علىّ ، ولما لقى الأحنف بن قيس خارجا بسلاحه لنصرة علىّ ، نهاه عن القتال ، فهو إذن ليس متحاملا على عائشة ، ولا متعصباً لعلىّ ، وما ذكره فى الحديث من انتفاعه بكلمة الرسول ، وعدم خروجه مع أصحاب الجمل ، إنما هو تأكيد لرأيه فى وجوب اعتزال القتال بين المسلمين ، وترك الدخول فى الفتنة ، وإن كان هذا الرأى يخالف ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين من وجوب نصر الحق ، وقتال الباغين ؛ قال الطبرى : لو كان الواجب فى كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل ، وكسر السيوف ، لما أقيم حق ، ولا أبطل باطل ، ولو وجد أهل الفسوق سبيلا إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال ، وسفك الدماء ، وسبى الحريم ، بأن يحاربوهم ، ويكف المسلمون عنهم أيديهم بأن يقولوا : هذه فتنة ، وقد نهينا عن القتال فيها ، وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدى السفهاء .

ولشيوع هذا الرأى بين جمهور المسلمين فى ذلك الوقت ، كان عدد الذين توقفوا عن القتال فى واقعتى الجمل وصفين أقل كثيراً عن عدد الذين قاتلوا ، والكلّ متأول مأجور إن شاء الله تعالى ، فقد اتفق أهل السنة على وجوب منع

مكتبتنا العربية

الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ، ولو عرف المحق منهم ، لأنهم لم يقاتلوا فى تلك الحروب إلا عن اجتهاد ، وقد عفا الله عن المخطىء فى الاجتهاد ، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، وأن المصيب يؤجر أجرين ، وقد حملوا أحاديث الوعيد الواردة فى ذلك على من قاتل بغير تأويل سائغ ، بل لمجرد طلب الدنيا والملك .

* * *

أهل فارس : هم أمة الفرس المعروفة فى التاريخ ، وفارس تطلق على الفرس ، وعلى بلادهم . فعلى الأول يصرف إلا أن يراد القبيلة ، وعلى الثانى يجوز الأمران كسائر البلاد ، وقد جوّز بعض أهل اللغة صرف الأسماء كلها .

وملكوا عليهم : جعلوها ملكة عليهم ، والملك : هو المتصرف بالأمر والنهى فى الجمهور ، وذلك يختص بسياسة الناطقين ، ولهذا يقال : ملك الناس ، ولا يقال : ملك الأشياء . والملك : ضبط الشىء المتصرف فيه بالحكم . والملك ضربان : ملك هو التملك والتولى ، وملك هو القدرة على ذلك تول أو لم يتول ، والملك كالجنس للملك ، فكل ملك ملك ، وليس كل ملك ملكا ، والملكوت : مختص بملك الله تعالى ، والمملكة : سلطان الملك وبقاعه التى يتملكها ، وأما الملك : فالنحويون جعلوه من لفظ الملائكة ، وجعلت الميم فيه زائدة ، وقال بعض المحققين : هو من الملك ، والمتولى من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له : ملك بالفتح ، ومن البشر ، يقال له : ملك بالكسر .

وبنت كسرى : هى بوران بنت شيرون بن كسرى بن برويز ، وكسرى بفتح الكاف وبكسرها ، وقال ابن الجواليقى : الكسر أفصح ، وهو فارسى معرب خسرو ، ومعناه بالعربية المظفرى ، وقال الجوهرى : جمعه أكاسرة على غير قياس ، لأن قياسه كسرَون بفتح الراء ، وهو لقب لكل من ملك الفرس ، كما أن قيصر لقب لكل من ملك الروم .

مكتبتنا العربية

استنبط العلماء من هذا الحديث أن المرأة ليست من أهل الولايات، وأنه لا يحل لقوم أن يولوها شيئاً من الأحكام العامة بين المسلمين، لأن تجنب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب.

والجمهور على أنها لا تلى القضاء، لأنه يحتاج إلى كمال رأى، ورأى المرأة ناقص، ولا سيما فى محافل الرجال.

وأطلق ابن جرير الجواز فى توليتها القضاء، ونقل ذلك عن بعض المالكية. وذهب الحنفية إلى جواز توليتها القضاء فيما عدا الأحكام التى لا تقبل فيها شهادة النساء، كما فى الحدود والقصاص.

ومن العلماء من أخذ من هذا الحديث أنه لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها، ولا أن تلى العقد على غيرها، مستندا فى ذلك إلى العموم الموجود فى قوله: «ولوا أمرهم»، فإن المراد به كل أمر، والأمر فى اللغة هو الشأن، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها، ولكن الظاهر أن الحديث وارد فى الشئون العامة لا الخاصة، كما يشعر به سبب الورود، وكما تلائمه حكمة التشريع، ولأننا لو حملنا العموم على إطلاقه، لتعطلت وظيفة المرأة فى المجتمع؛ ولتعارض ذلك مع ما أثبته الشارع لها من أنها راعية فى بيت زوجها، وفى شئون عيالها.

سحر البيان

عن عبد الله بن عباس قال: وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان ابن بدر وعمرو بن الأهتم. فقال الزبرقان: يا رسول الله أنا سيد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ لهم بحقهم وأمنعهم عن الظلم، وهذا يعلم ذلك منى.

فقال عمرو: أجل يا رسول الله إنه مانع لحوزته، مطاع فى عشيرته، شديد العارضة فيهم. فقال الزبرقان: أما والله يارسول الله قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدنى شرفى. فقال عمرو: أما لئن قال ماقال، فوالله ماعلمته إلا ضيِّق العطن، زمن المروءة، أحمق الأب، لئيم الخال، حديث الغنى. فرأى الكراهة فى وجه رسول الله لما اختلف قوله: فقال: يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ماعلمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت فى الأولى، ولقد صدقت فى الثانية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة.

مكتبتنا العربية

ناحية من أسلوب القرآن في القصص

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني
المفتش بالأزهر

مما يتصل ببيان الأسلوب القرآني في القصص، ما جاء في قصة موسى والعبد الصالح في سورة الكهف، حيث اختلف النسق فيما أجاب به العبد الصالح عن اعتراضات موسى؛ ففي أمر السفينة قال: «فأردت أن أعيبها»، فأسند الإرادة والتعييب إلى نفسه، وفي أمر الغلام قال: «فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما». فأسند الخشية والإرادة إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره مع إسناد الإبدال إلى الرب جل جلاله، وفي أمر الجدار قال: «فأراد ربك»، فأسند الإرادة إلى الله جل شأنه.

وقد ذكرت أوجه كثيرة في تخريج ذلك، والذي أراه بعد التأمل ومراجعة ما قيل في هذا الشأن - وقد يتلاقى في بعض جزئياته مع آراء الآخرين - أن يقال:

١ — في أمر السفينة، علم العبد الصالح، أن ملكا غاصباً سيقدم على هذا الموضع، وأنه يجمع السفن الصالحة، ولما كانت هذه السفينة لمساكين ليس لهم غنى عنها، اجتهد في وسيلة يدرأ بها ذلك عنهم، فأداه ذلك إلى أن يعيبها عيباً يمكن إصلاحه فيما بعد، حتى إذا رآها الملك، ظنها غير صالحة، فيتركها فيصلحها أصحابها وتسلم لهم.

وهذا التصرف يمكن أن يلجأ إليه الناس عادة، فهو من فعله، ومن جهة أخرى كان اعتراض موسى على خرقه السفينة بأسلوب قد يدل على أنه موجه إلى النية والقصد من هذا الفعل، لا إلى الفعل نفسه، وذلك أن موسى عليه السلام قال للعبد الصالح لما رآه خرق السفينة في موضع يؤدي إلى غرقها: «أخرقتها لتغرق أهلها»، فكأن موسى يشير أن هذا قصد اعتدائي، ونية سيئة، فأجابه العبد

مكتبتنا العربية

الصالح بكلام يفهم منه أنه فعل ما فعل قاصدا به أمرا حسنا ، بناء على ما تبين له من أمر الملك الغاصب ، ومن حال المساكين ، فإسناده الفعل إلى نفسه طبيعي ، لأنه تحديث عن الواقع ؛ إذ كان هـذا هو ما لجأ إليه تحايلا على تحقيق مصلحة رآها . ووصفه لهذا القول الذي هو « فأردت أن أعيبها » بين ما سبقه من أنها « لمساكين يعملون في البحر » وما لحقه من أنه « كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فيه إيحاء بأن إرادة تعييبها تصرفٌ قـد اكتنفه سببان حملا عليه ، وأنه لم يكن عن نية فاسدة ، وقصد اعتدائي .

بقي أن يقال : إن قوله في آخر القصة « وما فعلته عن أمري » يدل على أن ذلك بأمر الله لا برأيه وتصرفه هو ، والجواب أن اجتهاد المجتهد لتحقيق مصلحة من المصالح في دائرة ما علّمه الله هو استلهام لأمر الله ، وتطلب لحكم الله .

٢ — أما في أمر الغلام فقد كان العبد الصالح يعلم عن أبويه وعنه ما لا يعلمه موسى ، فأبواه مؤمنان . والغلام — فيما يظهر — كانت تظهر عليه علائم الفساد منذ الصغر ، ولعله كان معروفا في البيئة التي كان فيها بذلك ، ولعل هذه البيئة كانت تخشى منه ضررا على أبويه إذا كبر ، وكانت تتوقع أن يرهقهما طغيانا وكفرا إذا عاش ، وكانت تتطلع إلى موته ؛ رفقا بحال هذين الأبوين ، فلذلك فعل العبد الصالح ما فعل ، وعلل ذلك بقوله « فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا » فأردنا أن يبدلهما ربهما » فالخشية ليست منه فقط ، والإرادة ليست منه فقط ، وإنما كان ذلك هو إحساس من يعرف الغلام وأبوي الغلام ، وكانت هذه هي إرادتهم — أي رجاءهم وتطلعهم — فالإرادة هنا بمعنى الرجاء ، وما يكون من حديث النفس في مثل هذا الشأن ، حيث يلتمس من الله أن يريح مثل هذين الأبوين المؤمنين ، من مثل هذا الغلام الشرير ، ويرزقهما بدله مولودا أبر بهما وأرحم ، أما إبدالهما خيرا منه ، فقد أسنده إلى الله وهو يتضمن معنيين : معنى اهلاك الغلام ومعنى تعويضهما خيرا منه ، وكلاهما لا يكون إلا بأمر الله ، وقد أمر الله العبد الصالح بقتل الغلام تحقيقا للشطر الأول ، بدليل قوله في آخر القصة : « وما فعلته عن أمري » ولم يحدثنا عن تعويضه إياهما من هذا الغلام المقتول ، كما هي سنة القرآن في عدم استقصائه من الحوادث إلا ما تدعو إليه العبرة ، وتتطلبه الحال .

مكتبتنا العربية

فالحاصل أن قوله « فخشينا » وقوله « فأردنا » الضمير فيهما للعبد الصالح ومعه غيره من عباد آخرين يلمح الله لهم ؛ ولا يصرح بذكرهم ، وليس فى الكلام ما يدل على أن العبد الصالح كان منفردا بهذا العلم عن غير موسى .

٣ — أما فى قصة الجدار فالأمر ظاهر ، حيث أسندت الإرادة إلى الله فى قوله « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » ولا شك أن إرادة بلوغهما أشدهما لا تكون إلا لله ، لأنهما بمحض قدرته ، وأن إرادة استخراجهما كنزهما كذلك ؛ لأنهما حكم بما يكون فى الغيب المستقبل الذى لا يعلمه إلا الله ، فأمر الله العبد الصالح ببناء هذا الجدار وإقامته ، ليكون ذلك وسيلة عادية فى حفظ الكنز على صاحبيه ، وتنبيها على أن الله فى رحمته ولطفه قد يكرم الأبناء إكراما لآبائهم الصالحين ، ولا يأخذهم بما فشا فى مجتمعهم من فساد واعوجاج .

النبـــوغ

لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، قدم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فاشرأب منهم غلام للكلام .

فقال عمر : ياغلام ! ليتكلم من هو أسن منك .

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه ، فإذا منح الله عبده لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد أجاد له الاختيار : لو أن الأمور بالسن لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك .

فقال عمر : صدقت ، فهذا هو السحر الحلال .

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة ، لا وفد التعزية ، ولم يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، لأنا قد أمنّا فى أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا .

وكان محمد بن كعب القرظى حاضراً ، فنظر إلى وجه عمر بن عبد العزيز قد تهلل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ، فإن قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم فهووا فى النار ، أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة .

فبكى عمر بن عبد العزيز حتى خيف عليه ، وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ .

مكتبتنا العربية

من توجيهات القرآن

فى تربية الخلق

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى
المفتش بالأزهر

ا — « إن المتقين فى جنات ونهر »
ب — « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار »

قف معى أمام هاتين الآيتين ، واستشعر بوجدانك بُعد ما بين الفريقين ، ثم صاحبنى فى الموازنة بين المقامين ، علنا نهتدى من وراء ذلك إلى ما هنا من توجيه نحو أخلاق هى ذات الشأن فى التفريق بين فريق وفريق .

شعار هذا المقال ينم عن وعظ ، ويوحى بأنه للترغيب والترهيب ، ولئن كان ذلك المعنى شاخصا فيما أكتب ، فأن القصد الذى عنيته بالذات ، وأردت القارىء على أن يؤازرنى فيه هو أن نواصل ما بدأنا من تتبع ما هنا من توجيهات خلقية سيقت إلينا فى تأكيد من القول ، ولكننا على جفوة منها أو تجاهل ، حتى كأنها لم تكن لنا وبنا ، أو كأننا فى حل منها عملا والتزاما .

ا — يتساق إلى بعض الأذهان أن القرآن حينما يتحدث عن المتقين ، إنما يقصد خصوص القائمين برسوم الإسلام من صلاة وزكاة ونحوهما ، وإن وهن فيهم جانب الأخلاق ، وأنه حينما يتحدث عن نقائص المنافقين لا يعنى بهم سوى المنافقين فى الإسلام ، على عهد الرسول عليه السلام ، وإن توفرت كثرتهم بيننا فى هذه الأزمان .

ولو صح ذلك لكانت الفضيلة أرخص ما يدعيه الأدعياء ، ولوجدت جمهرة الأشرار يزحمون خيار الناس فى مناقبهم ، ويحتلون من الشرف منازلهم .

مكتبتنا العربية

ولكن القرآن وضع للفضيلة حدودها ومعالمها ، وماز الخبيث من الطيب ، بما ذكر من خصائص النفوس ، واختلاف النزعات ، فإذا توارت عن بعض العقول حدود الفضيلة ، أو تعامت عن معالمها بصائر ، أو تطاول نفر من الحمق فزعموا لأنفسهم أكثر مما لها ، فلن يكون ذلك طامسا لما رسم القرآن ، ولن يخلط الأوضاع التي تأبى أن تتبدل ، والتي ستظل في حماية الدين ، وفي رعاية العلم ، وستظل كذلك ما دام عقل يزن ، وضمير يحكم .

ليس الأمر كما فهم أولئك الذين زعموا أن دعوة القرآن إلى الخير ، تقف عند فرائض قد يؤديها من لا يحسنها ، وقد يباهي بها من يسير في حياته على مناهضتها ، ولا يستشعر بشيء مما توحي به في رسمها ، وفي معناها وأهدافها ، وإنما القرآن أوسع رحاباً مما تخيلوا وأسمى مأرباً مما فهموا .

فهو ينظر في الإنسان إلى عقيدته وعمله ، ويعتبر الخلق جانبا من العمل ، ناظرا إلى أثره في الوجود ، وما ينجم عنه من خير أو شر ، فهو لا يحكم على الخلق ، ولا يرتب عليه جزاء إلا بقدر ما يتحقق من ورائه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

ثم يرى القرآن فيما علمنا أن الخلق ـ العمل ـ من متعلقات العقيدة وفيه تتمثل قوتها ، أو يبدو ضعفها . وعلى ذلك ترى القرآن حينما يذكر المتقين ليشيد بهم ، وحينما يبشرهم بما أعد لهم في أخراهم ، إنما يقصد بهم أولئك الذين صحت عقيدتهم ، وسلمت من شوائب الدخل طويتهم ، فكان مظهرها خالصاً وصادقاً فيما يبدو من خلق كريم ، وما يبدو من عمل حميد .

وما من شك في أن العقيدة مصدر الإلهام للجوارح ، وصاحبة السلطان في التوجيه ، فتدفع إلى الخير وتحببه إلى النفس ، أو تذود عنه وترغب عن سواه . .

وإلى هنا يتضح أن العقيدة وحدها ، أو عملا طيبا لا تكون العقيدة مبعثه ، أو لا يكون مشفوعا بخلق حسن ، شيء من ذلك وحده لا يكفي لانتظام صاحبه في المتقين ، ولا ينهض شأنه أن يأبه القرآن لذكره ، والإشادة به ، واستنهاض العزائم ، وإيقاظ النفوس لأن تترسم آثاره ، وتتأسى بصنيعه .

مكتبتنا العربية

وقد تقرر عند أولى العلم أن الإيمان عقيدة ، وقول ، وعمل ؛ فإذا ما اعتور النقص واحداً من هذه الثلاث امتنع أن يوصف بالتقوى ؛ إذ التقوى هى كمال الإيمان .

نعم تكون تقوى نسبية فى مقابلة من يكون أقل من ذلك منزلة ، ولكن ليست التقوى التى يردد القرآن امتداحها ، ويقام لها الوزن الراجح فى اصطلاح علم الأخلاق .

ولدينا المثل لتطبيق هذا ، فإن خيار الناس الذين امتلأت الدنيا بذكرهم ، وجرت على لسان الزمن سيرتهم ، كان امتيازهم بعد العقيدة بادياً من ناحية الخلق .

وكانت أخلاقهم نماذج للأنسانية الكاملة ، ومعالم وضاءة لهداية الناس ، لا فى جانب دون جانب ، بل فى جوانب الحياة عامة ، وفى كل شأن يتصل به شئون الجماعات ، وقد رأينا القرآن حينما يعرض الثناء على المتقين ، يذكر أول ما يذكر ناحية الخلق . فهو يمتدح فيهم كظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، والإعراض عن اللغو ، وعفة اللسان ، ويذكر لهم الإيثار ، والقناعة ، والإخلاص وحب الخير للناس والوفاء ونقاء السريرة ، وقوة العاطفة ، والصبر ، والرضا ، ويذكر كل ما يعتبره الدين من كمال الدين وكل ما يراه علم الأخلاق من محاسن الأخلاق .

ونرى القرآن حينما يختص النبى محمداً صلوات الله عليه بذكر مناقبه ، يمتدح فيه الرحمة ولين الجانب وسعة الحلم ، وجميل الصفح ، ويحمل ذلك وما إليه من شمائله الكريمة فى قوله « : ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ،

وفى ذلك توجيه لنا إلى أن المسالمة ، ورقة الطبع ، ولطف المعشر أقرب الوسائل إلى امتلاك القلوب ، وتأليف الجماعات .

ثم فى مقام آخر يعمد القرآن الى الإحاطة بكل ما يتأتى أن يمدح به النبى ، ويطوى ذلك فى أيسر عبارة تجرى على اللسان فيقول « : وإنك لعلى خلق عظيم ،

فهذا نمط القرآن حين يتحدث عن التقوى والمتقين ؛ إذ يذكر أعمالهم وخصالهم ، ولا يقف عند ذلك التحديد الضيق الذى يقف عنده الذهن الكليل .

ومع أن القرآن ينثر أوصاف المتقين فى مواضع كثيرة من آياته ، ويبث

مكتبتنا العربية

مدائحهم فى ألوان عدة من الثناء ، فقد تراه يوجز كل ذلك فى وعد كريم يشف عما لهم عند الله من قدر ، كفاء ما تجملوا به من خلق . أفرأيت قولا أحفل بالرضا ، وأدل على سمو المنزلة من قوله ، فقال : « إن المتقين فى جنات وعيون » « إن المتقين فى جنات ونعيم » ، « إن المتقين فى جنات ونهر » : بل هناك من حسن التقدير ، وبالغ الوصف ما هو أحفل وأعجب ، وحسبك قوله عز شأنه : « لهم ما يشاءون عند ربهم — الآية » فكأنهم غير مجزيين بقدر أعمالهم فحسب ، بل لهم الآمال الفسيحة ، والمطامع الممتدة ، والرغبات المستجابة — ذلك جزاء المحسنين .

فليتنبه إلى ذلك من كان يظن أن التلون بلون الدين فى عبادة جافة ، أو فى زهادة لا يؤازرها خلق ، أو فى تزمت وغرور ، أو فى تكاسل مع الإسراف فى حسن الظن بعفو الله ، من كان يظن أن شيئا من ذلك يرقى به إلى مكان يروقه من الإيمان ، أو ينهض به إلى منزلة أعدت لمن عرفوا الدين دينا وخلقا ، فهو دون الفهم الصحيح ، والنظر الصائب ببون شاسع وأمد بعيد .

ب — ذلك هو المقام الكريم من مقامين ، فأين منه مقام آخرين على طرف مضاد ؟ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ؟

وضح فى كلمة سبقت لنا : أن القرآن فى دعوته إلى تزكية النفس ، يستحثنا على الصدق فيما ننتحل من قول وعمل ، وينأى بنا عن مساوىء الدعوى المصطنعة ، والتقنع بالكمال المدخول ، مع الركون إلى سفساف الخلق ، والاحتيال فى جلب الثناء من غير طريقه .

يرى القرآن فيما يتجه إلينا به أن هذا اللون الزائف من الخلق المموه ، شر ما يطمس معالم الإنسانية وقد كرمها الله ، وأقبح ما ينتاب المجتمع من تحلل النفسيات ، والتبجح فى قلب الأوضاع ، والطغيان على المبادىء القويمة التى هى موازين الكرامات والتى تعتبر من مباهج الحياة .

وما كانت أقدار الناس متمايزة فى قياس العقل ، ولا كانت القيم الأدبية على تفاوت بين أنسان وأنسان ، بل بين الإنسان والحيوان الأعجم إلا لأن هناك

مكتبتنا العربية

مدارك وحساسية توفرت فى جانب دون جانب ، وبرزت آثارها فى فرد أو جماعة أكثر مما توفرت وبرزت فى آخرين .

فهذا انسان أينع فيه الخلق الفاضل ، حتى ارتقى فى مكانته لدى من يقدره ، واقترب فى إنسانيته أن يكون ملائكيا ، وذاك آخر هبطت فيه المدارك ، والحساسية ، وذبلت نفسيته حتى ارتكس إلى سفل ، وكان محسوبا على الإنسانية وهو ثقل على عاتقها ، ومخزاة فى وجهها ، أو كانت حياته شقوة تلحق بمجتمعه ، وتكدر العيش على من يبتغون العيش مطمئنا فى ظلال رفيهة من حسن الأخلاق .

يسوقنا ذلك ، أو يسوقنا إلى ذلك ما صنع القرآن فى حديثه عن النفاق وأهله ، فقد انتهج مع المنافقين أقسى مما انتهج مع أهل الكفر الصراح .

ليس لأن الكافرين بدعوة القرآن أحب إليه ممن نافقوا ، ولكن لأن الكفر الصراح يعتبر من الوجهة الاجتماعية عنادا سافرا وعداء مكشوفا ، أما النفاق فعداء ملفوف ، وضغن كامن ، فيه ما فى الكفر الصراح من قبح ، وفيه فوق ذلك مكر يبيتونه ، وشباك ينصبونها وراء ذلك الود البراق .

وكثيرا ما يقع المسالم المطمئن فى حبال النفاق ، إذا استنام إلى ظاهره ، ولم يفطن إلى خباياه أنه من الهين على المرء أن يتحاشى عدوا سافرا أكثر مما يتحاشى عدوا كامنا .

لذلك كان النفاق مهينا غاية المهانة ، وكان بغيضا نهاية البغض ، فليس فيه شىء يخفف من سوء ما به ، ولا يجتمع مع النفاق اعتزاز بشخصية ، ولا احتفاظ بكرامة ، ولا خشية من معرة .

ذكر القرآن من أوصاف المنافق ما كشف عن شخصية متأرجحة ، لا تملكها عقيدة ، ولم يثبتها إيمان ، فهى بين وسوسة وقتية ، ورعدة لازمة ، ويظل المنافق بين وسوسته وخوفه مفكك الشخصية ، مائع الخلق ، غير متماسك الرأى ، وهو إزاء اضطرابه ذلك يحاول أن يستند إلى غيره ؛ كمن يلعب برأسه دوار ، أو كمن خارت قواه عن الوقوف ؛ فلم يتمالك أن ينهض على قدميه ، فمد يده إلى جانب ، والأخرى إلى جانب ، ثم ترهل فى حركته ليقف كما يقف الأقوياء ، وليس هو من الأقوياء .

مكتبتنا العربية

يحرص المنافق على أن يمالىء هـذا وذاك ، ويلتمس الرضا هنا وهناك ، فهو مع كل زامر يرقص ، ومع كل منشد يطرب ، وأنى يكون إنسانا من كان كذلك ، أو على شيء من ذلك ؟

وليس أصدق من قول الله فيمن ينافق « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هـؤلاء » ، ولا يحسبن حاسب أن النفاق جملة نقائص تتجمع فى شخص ، بل النفاق خصال وضيعة ، فمن تجمعت لديه فهو ممن فى نفاقه ، ومن ابتلى منهـا بشيء فهو منافق إلى حد ما . والنفاق شر كله وإن كان هيناً على من اقترفه أو اقترف منه طرفا يسيرا .

ذكر القرآن أوصاف النفاق فى مناسبات من آياته : فأنت تراه يقول عن المنافقين « ويحلفون على الكذب وهم يعلمون » ويقول : « فى قلوبهم مرض » « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » « يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم » « ينفقون أموالهم رئاء الناس » « فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذاهم يسخطون » « يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا » « فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه » « يخادعون الله وهو خادعهم » .

وهكذا من الآيات التى تشهد على المنافق بالضعة ، وتعطيك من صوره أنه ، مراء وكذاب ، ونفعى ومتصنع ومريض القلب ، وما إلى ذلك مما يعافه السمع الكريم ، وتتأوه من هوله الجماعات ، فهل بعد هاته الدنايا يعرض للمنافق شأن أو يقام له حساب ؟ .

من كان كذلك فهو دون الغير فى الاعتبار ، بل هو دون الغير حتى فى الهوان ، فقد يكون خصم له قدر ، وقد يكون خصم تتخطاه الانظار ، ويتجاوزه الحديث حتى فى عداد الخصوم لو كانوا شرفاء ، فإذا رأيت القرآن يؤكد لك أن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار فقد سلك بهم مسلكهم ، ووضعهم فى آخراهم حيث وضعوا أنفسهم فى دنياهم ، وجعل قرارهم فى الدرك الأسفل ، بعد أن جعل مثوى المتقين فى مقام أمين ، ولم يكن هناك بين هؤلاء وأولاء سوى كرامة وأخلاق . . واليوم يابعد مابين مقام ومقام ! .

مكتبتنا العربية

لغويات

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة العربية

مستشزرات

يورد علماء البلاغة بيت امرىء القيس فى وصف شعر من يتغزل بها :

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنّى ومرسل

وهم يعنون كلمة مستشزرات ، يجعلونها مثلا للكلمة فى تأليفها تنافر وثقل يخلّ بالفصاحة ، ويبدو أن ذلك من قبل تقارب الأصوات لاحرف هذه الكلمة ، فالسين والشين صفيريان والشين قريبة من الزاى ، وقد تقرّر ثقل التأليف من الحروف المتقاربة .

والذى يعنينى فى هذا المقام بيان معنى مستشزرات فى اللغة . والمستقرّ - إخالـ فى أذهان الدارسين ما كتبه شرّاح البلاغة . وأذكر من هذا قول السعد التفتازانى فى شرحه للتخليص : « مستشزرات أى مرتفعات إن روى البيت بالكسر على لفظ اسم الفاعل ، أو مرفوعات إن روى بالفتح . استشزره : رفعه . واستشزر أى ارتفع ، يتعدّى ولا يتعدّى » والقارىء لهذا يقرّ فى نفسه لا محالة أن الاستشزار هو الرفع والارتفاع ، وأنه فى سعة من أن يقول : استشزرت الكتاب أى رفعته ، واستشزر البيتُ : ارتفع ، وهو يرى أنه جار على سنن أهل اللغة والبيان . وقد ارتبت فى هذا ولم استسغه أن يقال فى معروف الكلام ، وكان على بالى من هذه المادة « النظر الشزر » أى النظر بمؤخر العين أو جانبها ، وهذا المعنى لا يتفق مع هذا الذى ذكرته للاستشزار ، فكان أن بحثت هذا الذى أسطره فى هذا الموطن . ورجعت إلى معاهد التنصيص — وهو شرح لشواهد التلخيص — عسى أن أجد فيه تعقيبا على كلام السعد فإذا فيه :

مكتبتنا العربية

« الاستشزار : الرفع والارتفاع جميعا ، والفعل منه لازم إن كسرت زايه ، ومتعدّ إن فتحت ، وترى أنه يقرّرا لسعد على تفسيره ويؤيده فى قوله .

وقد تبينت أن مصدر هذا كلام الزوزنى الحسين بن أحمد المتوفى سنة ٤٨٦ فى شرح المعلقات ، إذ يقول : « الاستشزار : الرفع والارتفاع ، فيكون الفعل منه تارة لازما ، وتارة متعديا » . ورأيت أن أقف على كلام الكاتبين على المعلقات غير الزوزنى ، فوجدت النحاس يقول : « المستشزرات : المفتولة شزْرا ، أى على غير جهته لكثرتها . وروى ابن الأعرابى مستشزِرات بكسر الزاى ، أى مرتفعات ، وقد تبعه فى هذا أبو بكر عاصم بن أيوب فى شرحه للمعلقة ، إذ يقول : ومستشزَرات ـ بفتح الزاى ـ : مفتولات على غير جهة الفتل ، وذلك لكثرتها ، وبكسرها : مرتفعات ، وترى هذا بعينه فى العينى [1] فى شرحه للشواهد .

ويرى القارىء فى هذا النهج الذى سنه أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ تفريقاً بين استشزره واستشزر . فاستشزره : فتله على غـــير جهة الفتل ، واستشزر : ارتفع . والمعروف أن اللازم فى مثل هذا ، يكون مطاوعا للمتعدى ، فلا يخرج عن معناه ، بل يظل بسبب من المتعدى وعلى سمته وأمه ، كما يقال : جبر الله الكسير فجبر هو . قال العجاج : قد جبر الدين الإله فجبر . فإذا كان استشزره : فتله ، فإن استشزر يجب أن يكون : انفتل . تقول على هذا : استشزرت الحبل ، أى فتلته على غير جهة الفتل فاستشزر الحبل . وهذا ما يؤخذ من كتب اللغة . فشَزْر الحبل ـ وما جرى مجراه كالشعر ـ واستشزاره : فتله إلى جهة اليسار أو إلى فوق على خلاف دور المغزل الذى يكون إلى تحت . ومادة الشزر فيها الانصراف عن سَنن القصد : تقول : فتله شَزْرا : فتله على غير استقامة ، بل فتله إلى جهة اليسار . وفى اللسان : « الشزر من الفتل : ما كان عن اليسار ، وقد شزره ، واستشزر الحبل واستشزره فاتله ، وروى بيت امرىء القيس بالوجهين جميعاً :

غدائره مستشزِرات إلى العلا تظلّ المدارى فى مثنّى ومرسَل

ويروى مستشزَرات . . . والشَّزر من الفتل ما كان إلى فوق خلاف

(١) هامش الخزانة ٤/٥٨٧ .

مكتبتنا العربية

دورة المغزل ، يقال : حبل مشزور وغدائر مستشزرات ، فترى أن الاستشزار لا يخرج عن الفتل ، فاستشزار الغدائر أى ذوائب الشعر فتلها ، وإذا قيل : استشزرت المرأة الشعر فمعنى ذلك فتلته إلى جهة اليسار ، ويرى بعضهم أن السين والتاء فى استشزر اللازم كأنهما للطلب كأن الحبل مثلا سأل ذلك من الفاتل .

ويتجلى من هذا البحث أن تفسير الاستشزار بالرفع والارتفاع ليس على ما ينبغى ، وإنما الاستشزار الفتل ، وكأن الذى أوقع الزوزنى ومن تابعه فى ذلك قول الشاعر : مستشزرات إلى العلا فقرن الكلمة بالعلا أوقع فى الوهم أن الاستشزار الارتفاع والرفع . والله أعلم .

الوقائع والأحوال :

تذكر الوقائع فى جمع الواقعة للحادثة تقع وتنزل . فيقال : جرت اليوم واقعة من الوقائع الحسنة تذكرنا بالوقائع القديمة . وصحيفة « الوقائع المصرية » صحيفة قديمة كان من الكاتبين فيها الشيخ حسن العطار صاحب المؤلفات فى شتى الفنون ، وقد أنشئت ليدون فيها ما يجد من الحوادث ويسن من القوانين فى نظام الدولة ، وما زالت تضطلع بهذه المهمة إلى اليوم . وقد جرى كلام فى جمع الواقعة على الوقائع ؛ فقياس جمع الواقعة الأواقع وأصلها الوواقع ، ويقضى قانون الإبدال بقلب الواو الأولى همزة ؛ كما يقال فى جمع واقية أواق وواصلة أواصل ، وقد جاء الأواقع فى قول الشاعر :

فإنك والتأبين عروة بعد ما دعاك وأيدينا إليه شوارع
لكالرجل الحادى وقد تلع الضحا وطير المنايا فوقهن أواقع

وعلى هذا فالأوفق بقواعد العربية أن يقال « الأواقع المصرية » غير أن الناس استمروا على هذا ، وأصبح من العسير تغييره .

والوقائع ترد فى اللغة جماعا للوقيعة ، وهذا قياس جمعها . والوقيعة ترد فى اللغة لثلاثة معان : فالوقيعة العَيْب وأن تنال أمرأ بما يشينه ويثلم عرضه ، والوقيعة القتال والحرب ، والوقيعة نقرة فى الجبل تمسك الماء . ومن سجعات الأساس : فى فم الوقائع الوقيعة ، أعذب من ماء الوقيعة . فالوقيعة الأولى الشتم والعيب ، والوقيعة الثانية منقع الماء .

مكتبتنا العربية

وقد يشهد لصحة استعمال الوقائع فى النوازل والحوادث ما ورد فى الاساس : « نزلت به وَقْعة من وقعات الدهر ووقائعه » وظاهر هذا أن واحد الوقائع وقعة ، وهذا جمع على غير قياس ، كما جمعوا الضرّة على الضرائر والكنة على الكنائن ، وأيّا ما كان الامر ففيه استعمال الوقائع فى الحوادث ، وهو ما جرى به العرف والاستعمال .

مهما أسأت إلىّ فلن أصدف عن ودك

يجرى هذا فى الاستعمال ، وترى فيه مهما مستعملة فى عموم الأحوال ، فالمعنى لن أصدف عن ودك لإساءتك إلىّ أبدا . ويقضى النظر الإعرابىّ بأن تعرب مهما ظرف زمان ، وكأنه قيل : أىّ وقت أسأت إلى فيه فلن أصدف عن ودك . وإنكار مثل هذا قديم ، فإن المعروف استعمال مهما فى عموم الأفراد ، وعلى ذلك يجرى بيانها ببعض الأشياء ، كما فى قوله تعالى : وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ، فقوله من آية بيان لمهما ، وقال زهير :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم

فترى أن مهما بيّنت فى البيت بخليقة ، ولكن بعض الناظرين فى العربية رأى استعمالها فى الأحوال فلقى نكيرا شديدا من العلماء ، ويقول الزمخشرى فى التنديد بهذا الرأى عند قوله تعالى : وقالوا مهما تأتنا به من آية : « وهذه الكلمة — يريد مهما — فى عداد الكلمات التى يحرّفها من لا يَدَ له فى علم العربيّة فيضعها غير موضعها ، ويحسب مهما بمعنى مَتا [1] ما ويقول : مهما جئتنى أعطيتك . وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربيّة فى شىء » ، وقد أخذ بهذا الاستعمال المنكر المناطقة فجعلوا مهما سورا للكلية الموجبة من الشرطية المتصلة : ككلما نحو مهما جئتنى أكرمتك فهى فى معنى كلما جئتنى أكرمتك ، ويترف علماء المنطق بالنقل والتحريف لوضع العربيّة فيقول السعد فى شرح الشمسيّة : « ولفظ مهما — بحسب اللغة — إنما هو لعموم الأفراد حتى يصلح سورا للكلية الحمليّة . وهم قد نقلوها إلى عموم الأوضاع وجعلوها سُور المتصلة الكلية » .

على أن ابن مالك — وعلمه بالعربية لا ينكره أحد ، وحسبك بمن يقول

---

(١) يرى ابن درستويه كتابة متى بالألف إذا اتصلت بها لتوسطها . راجع شرح القاموس .

مكتبتنا العربية

للزمخشري إنه نحوي صغير - يرى مجيء مهما ظرفا ، ويسند ذلك إلى العرب . فهو يقول في شرحه للكافية الشافية إن جميع النحويين يجعلون مهما مثل مَنْ في التجرد عن الظرفية مع أن استعمالها ظرفية ثابت في أشعار الفصحاء من العرب .

وأورد من ذلك قول طُفَيل الغَنَوي :

نبئت أن أبا شُتَيم يدَّعي مهما تعش تسمع بما لم تسمع

وقول حاتم الطائي :

وإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذمّ أجمعا

ومن طريف ما يذكر هنا أن ابنه بدر الدين أنكر عليه ، وقال : إنه لا حجة فيما أورده على أن مهما ظرف ، فقد يجوز أن تكون مهما مفعولا مطلقاً ، ففي قوله مهما تعط بطنك سؤله ، المعنى أي إعطاء تعط بطنك . . . وهذا أمر لا يعنينا في مقامنا هذا ، وإنما يعنينا ورود هذا الأسلوب ، وهو يوافق ما يجري على ألسنة الناس ، وينكره الزمخشري ومن شايعه .

ومما جاء فيه مهما في غير الأفراد ، كما يرى ابن مالك قول ساعدة بن جُؤيَّة في وصف الصوار - وهو القطيع من بقر الوحش ، المذكور في بيت سابق - :

قد أوبيت كلّ ماء فهي صاوية مهما تصب أفقاً من بارق تشِم

أو بيت [1] : مُنِعت ، وصاوية : يابسة من العطش ، يقول : إن الصوار حُمِيت الماء فأصبحت قاحلة من العطش ، وهي متحرقة الماء متشوفة له ، فإذا أحست برقا في أفق وناحية شامته ، ونظرت إليه ترجو أن يعقبه المطر فتروى منه ، وقوله تصب أفقاً من بارق ، على القلب أي تصب بارقاً - وهو السحاب يبرق - من أفق أي ناحية .

وكان بعض الفضلاء لدهر مضى ، زعم أن من هذا الاستعمال قول المتنخل الهذلي يرثي أباه عويمراً :

إذا سُدْته سُدت مطواعة ومهما وَكلْتَ إليه كفاه

يقول [2] : إذا سُدته وكنت فوقه أطاعك ولم يحسدك . والأمر في هذا ليس على ما ظن ، فمهما مفعول به مقدم لوكلت ، والمعنى : أي شيء وكلت إليه كفاه .

---

(١) أنظر شعر الهذليين ١٩٨ / ١ طبع دار الكتب . وقوله صاوية بالصاد المهملة ، وجاء في المغني ومواده صاوية بالضاد المعجمة ، وهو تحريف (٢) انظر شعر الهذليين ٣٠ / ٢ طبع دار الكتب .

مكتبتنا العربية

مفردات فلسفية

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بكلية أصول الدين

كنا اعتزمنا أن تكون مفردات هذا المقال هي كلمات : الواقعية ، الاسمية ، التصورية ، أو المفهومية ، ونحوها مما يتصل بنظرية المعرفة والكليات أو المفاهيم العامة . لكن مسألة هذه الكليات كان لها شأن كبير لدى فلاسفة اليونان ، وبخاصة أفلاطون ، ثم صارت في العصور الوسطى محور التفلسف والفلسفة . وعرفها أيضاً المفكرون الإسلاميون ، وأخذت قسطاً كبيرا من تفكيرهم ؛ لذلك رأينا من الخير ، بل من الضروري أن نقدم بين يدي هذه المفردات كلمة عن هذه المشكلة الأساسية ، نعني مشكلة الكليات .

* * *

كان يراد في العصور الوسطى باسم الكليات : المعاني أو المفاهيم العامة التي تعتبر أنواعا أو أجناساً للكائنات الفردية الجزئية ؛ وذلك مثل الإنسانية ، أي الحيوانية الناطقة ، التي هي ماهية كل فرد من أفراد الإنسان ؛ والحيوانية التي هي الماهية العامة لكل حيوان ، أي الكائن النامي الحساس المتوالد .

وهذه الكليات هي الأمور المساعدة التي لابد منها للفكر والعلم ، وفائدتها - لهذا - ليست موضع شك أو تساؤل ، لأنه بالتصنيف والتعميم للموجودات ، أي جعلها أنواعا وأجناسا ، يمكن أن تصل إلى مبدأ من المبادىء أو قانون من القوانين العامة .

مكتبتنا العربية

ولكن يجب أن نعلم ما إذا كان لهذه المعانى العامة ، التى لا نستغنى عنها فى أحاديثنا ، وجود حقيقى خارج عنا ، أو ما إذا كانت ليست إلا اختراعات ذهنية وأعطيناها أسماء ، ليكون من السهل علينا ترتيب معارفنا .

مثلا ، ماهية الإنسان التى نطلقها على جميع أفراده ، وهى الحيوان الناطق ، هل لها وجود فى العالم الطبيعى ؟ أى هل لها حقيقة خارج أفرادها ؟ أو إنها لا توجد إلا فى الفكر أو الذهن بفضل الاسم الذى أعطيناه لها ؟ هذه هى المشكلة التى نشأت عنها هذه المذاهب : الواقعى ، والاسمى ، والتصورى .

ومن الهام جدا أن نلاحظ أن اختيار جانب من تلك الجوانب ليس عملا يسيرا من أعمال العقل ، بل هو على الضد ، قرار خطير يتخذه العقل ، وذو نتائج كبيرة ضخمة ؛ ذلك بأنه يجر مباشرة انحيازنا إلى هـــذا التصور أو ذاك من التصورات الخاصة بالكون والعالم ، وإلى طريقة خاصة لمعالجة أو حل أى مشكلة من المشاكل .

فإذا كنا حقيقيين أو واقعيين ، كان العالم المعقول الذى نفكر فيه موضوعا أو شيئا Objet حقيقيا موجودا ، شيئا هو نتاج الخلق الخارج عنا ، ويكون وجوده لا يتعلق بنا ولا يتوقف علينا لأنه يبقى هو هو ، رغم المظاهر الخادعة غالبا التى تخلعها عليه حواسنا .

إن هذا الوجود الواقعى الذى يفرض نفسه علينا كيقين لا شك فيه ، يجب إذاً ـ ما دمنا من أنصار المذهب الواقعى ـ أن يكون الأساس القوى المتين لتفكيرنا وضروب استدلالنا ، ونقطة الارتكاز ، التى بفضلها نصل بالاستنتاج إلى الأشياء والظواهر الجزئية التى تعطينا حواسنا صورها .

وعلى الضد من هذا كله لو كنا إسميين : إن الكائنات الفردية والأشياء المحسة التى ندركها نحن ، مثل هذا الإنسان وهذا الحصان الذى أراه الآن ، تكون هى وحدها الموجودات الواقعية الحقيقية ؛ وكل ما عدا هذه الموجودات المحسة لا يكون إلا خيالا لا حقيقة له ، ولا تكون المهايا العامة ، مثل نوع الإنسان ونوع الحصان وجنس الحيوان ، إلا عملا من أعمال العقل لا حقيقة له ، أى لا تكون إلا مجرد أسماء .

مكتبتنا العربية

ومن ثَمَّ ، يرتقى الاسميون ، بالسير من ملاحظة الحوادث الفردية الجزئية ، وبالطريقة التجريبية الاستقرائية ، من الإدراك الحسى إلى معرفة المبادىء والقوانين بواسطة التجربة والمقارنة والتجريد .

٢ — ولهذه المشكلة والحلول التى تحلّ بها ، أهمية كبيرة فى الحياة العامة فى العصور الماضية وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، ويكفى فى هذا أن نذكر أنها تحصر بين طرفيها ، الواقعية والاسمية ، كل النزعات التى يتذبذب بينها التفكير الإنسانى : وذلك حسب اعتباره أن الموجود الحق هو الخاص أو العام ، الفرد أو الكلى ، الذاتىّ أو الموضوعىّ ، النسبى أو المطلق ، العرضىّ أو الدائم ، الممكن أو الضرورى : ثم حسب تفضيله ، فى سبيل الوصول إلى المعرفة ، التجربة أو المبادىء الموضوعة ، الملاحظة أو الحدس ، التحليل أو التركيب ، الاستنتاج أو الاستقراء ، الأمر المدلل عليه أو الموضوع وضعا ، المحسوس أو المعقول ، المشخص أو المجرد ، الصيرورة أو الكائن الموجود الدائم .

وقد يبين بوضوح أكبر أهمية هذه المشكلة وحلولها فى الحياة العملية ، أن نشير إلى السوفسطائيين اليونان — على أن لكل عصر نصيبه من السفسطة والسوفسطائيين ، ولعصرنا الحالى حظ من ذلك موفور ! — وسقراط . فقد كان السوفسطائيون لا يرون وراء مدركات الحواس المختلفة ، باختلاف الشخص والزمان والمكان ، حقائق عامة ثابتة ، ومن ثم كان مذهبهم فى الأخلاق مذهبا هدّاما . بينما كان سقراط يعترف بالحقائق أو المهايا العامة الثابتة للأشياء ، هذه المهايا الكلية التى يستخلصها العقل من مدركات الحواس ، وذلك بالملاحظة والمقارنة والتصنيف للمدركات الجزئية .

٣ — وهذه المشكلة تصعد من الناحية التاريخية ، كما رأينا إلى أيام اليونان ، بل إلى أول عهد الناس بالتفلسف والفلسفة ، ولكنها لم تأخذ أهميتها الحقة البالغة إلا فى العصور الوسطى ، إذ أمكن للمفكرين استخلاصها من ترجمة نص من الأفلاطونية الحديثة ، نعنى به إيساغوجى أو المدخل لفورفوريوس الصورى الذى كان يعيش فى القرن الثالث للمسيح عليه السلام ، وهذا النص يثبت قبل

مكتبتنا العربية

كل شيء أن هذه المشكلة التى ليست إلا مشكلة موضوعية أو ذاتية معارفنا ، شغلت الأذهان قبل العصور الوسطى بزمن طويل .

حقيقة ، إننا نجد هذه المسألة فى مذهب أفلاطون وأرسطو ، لأن الأول بنظريته الشهيرة عن المثل ، يقدم أكمل نموذج للحل الحقيقى أو الواقعى ؛ بينما الثانى ، بطريقته التجريبية ، فتح الطريق للمذهب التجريبى المعتدل ، الذى نجده لدى كثير من مفكرى العصر الوسيط الواقعيين .

وإذا أردنا أن نرجع فى التاريخ الى ما قبل أفلاطون وأرسطو ، نجد من اليسير استخلاص النزعة الواقعية من مدرسة فيثاغوراس ، التى كانت ترى أن للحقائق الرياضية وجودا واقعيا خاصا غير وجودها فى الأشياء المحسة المشخصة . كما نجد من اليسير أيضا أن نرى فى مفكرى المدرسة الإيونية أو الذرية ، الماديين ممثلين للنزعة الاسمية .

هذا . وها هو ذا نص فورفوريوس الذى أشرنا اليه :

« سوف لا أبحث عما إذا كانت الأجناس والأنواع توجد بنفسها ، أو أنها ليست إلا مفاهيم وتصورات مجردة ؛ ولا فى حال ما إذا كانت حقائق واقعية ، عما إذا كانت جسمية أو لا ، أو عما إذا كانت توجد مفارقة للأشياء المحسوسة أو مختلطة بها . هذا البحث عسير كل العسر ، ويتطلب مناقشات طويلة ليس هذا موضوعها » .

من هذا النص نجد أن هذه هى القضايا الثلاثة ، التى تعرض حتما لمن يتصدى للبحث فى الكليات : وجود هذه الكليات ، هل هو حقيقى أو متوهم ؟ جسمى أو غير جسمى ؟ مفارق أو غير مفارق ؟ وأخيراً ليس من همّنا فى هذه الكلمة التمهيدية ، أن نبحث فيما ثار من جدل ، وفيما كان من حلول لهذه المسائل ، طوال العصور الوسطى ، ولا فى أثر هذه المذاهب فى السياسة والاجتماع . وحسبنا أن ذلك كان تمهيداً لابد منه ، لفهم ما سنعرض له من مفردات فلسفية خاصة بهذه المشكلة ، وبما يتصل بها .

مكتبتنا العربية

باب الأسئلة والفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

لى أخ مدرس بكلية الزراعة ومنتدب لمهمة علمية فى أمريكا أرسل إلى يستفتى فيما يلى :

ورد فى القرآن الكريم آيات تحرم الأكل فى مختلف السور (١٧٣ البقرة ٩٣ آل عمران ٣ المائدة ١١٩ الأنعام ١١٥ النحل) . كما أحل طعام أهل الكتاب فى قوله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات . . . . ٥ المائدة » .

١ — إن السائل يقيم فى دار غربة وهى بلاد بعض أهل الكتاب ، ولا يدرى نوع ما يُقدم إليه من لحم حلال هو أم حرام . فهل يجوز له أن يأكل ما يقدم إليه ولو كان لحم خنزير وهو لا يعلم حقيقته ، أو من ذبيحة لا يعرف طريقة ذبحها

٢ — وهل يكون السائل حيث يقيم فى حكم المضطر « غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

٣ — ورد فى حديث الدار قطنى عن عائشة ومالك رضى الله عنهما : أن أناساً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : « يارسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لاندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله : سموا عليه وكلوا »

فهل يسرى هذا النص على أكل أهل الكتاب « الذبيح الذى لا يعرف نوعه ولا طريقة ذبحه ، وهل ذكر اسم الله عليه عند الذبح أم لا ؟ » وهل يجوز أكله أم لا ؟ نرجو الإفادة .

محمد عمر الخطاب
مصلحة المجارى الرئيسية

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

مكتبتنا العربية

أما بعد فقد أطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد بما يلى :

قال الله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب » .

وقال تعالى: «اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم».

فقد حرم الله بالآية الأولى تناول شيء مما ذكر فيها إلا ما أدرك قبل زهوق روحه ، وذبح من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع . فإن هذه إذا أدركت وفيها حياة أية حياة ، وذبحت وسال الدم الأحمر منها فإنها تكون حلالا .

وما حرم الله مما ذكر فى هذه الآية على نوعين .

الأول : ما كانت علة تحريمه إرادة حفظ العقيدة وحمايتها من الشرك وعبادة غير الله تعالى ، ويشمل هذا ما أهل به لغير الله وما ذبح على النصب .

والثانى : ما كان تحريمه لمعنى فى الحيوان نفسه ، ويشمل بقية المحرمات المذكورة فى الآية من الميتة والدم ولحم الخنزير والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع .

وتحريم جميع مااندرج فى هذين النوعين عام يشمل ما يكون للمسلم ولغيره . فكما يحرم على المسلم تناول شيء من حيوان قتله بالخنق أو بالوقذ مثلا يحرم عليه تناول ذلك كله إذا حصل شيء منه عند غير المسلم أو بفعله ؛ فموقوذة غير المسلم كموقوذة المسلم كلتاهما محرمة على المسلم .

وهذا هو الحكم فى أخوات الموقوذة مما ذكر فى الآية الكريمة .

أما قوله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » فالغرض منه رفع الحرج عن المسلمين فى تناولهم ما يصنعه أهل الكتاب ، من طعام وما يذبحونه من حيوان ، فقد كان المسلمون قبل نزول الآية يتحرجون من طعامهم وذبائحهم لمخالفتهم إياهم فى العقيدة ؛ فبين الله تعالى أن ذلك حلال لهم كجميع الطيبات من

مكتبتنا العربية

المآكل والمشارب ، وأراهم أن اختلاف العقيدة لا يمنع تبادل أسباب المعيشة ، فيطعم المسلم من طعام الكتابى كما يطعم الكتابى من طعام المسلم .

وبهذا يتبين أن الآية الثانية واردة فى غير ما وردت له الآية الأولى ، وأن طعام أهل الكتاب الذى أحله الله للمسلمين لا يصح أن يتناول ما وردت بتحريمه الآية الأولى من الميتة والخنزير والموقوذة والمنخنقة وما إليها .

فالطعام الذى يصنعه أهل الكتاب من الحيوان الذى يحل أكله ، لو ذبحه المسلم كالبقر والغنم حلال ، ما لم يعلم أن هذا الحيوان من الميتة وأخواتها . فإذا علم أن الحيوان مذبوح ولو بعد ضربة قاتلة ببلطة أو نحوها ، وأنه ذبح ذبحا مخرجا للدم الأحمر ، وكان وقت الذبح حيا أية حياة ولو غير مستقرة حل أكله . وكذلك يحل أكله إذا جهل أنه ذبح بعد الضرب أو لم يذبح متى كان غالب الأمر عندهم هو الذبح ، ولو بعد الضرب على نحو ما قدمنا . فاذا لم يعلم المسلم ما هو الغالب عندهم ، ولم يعلم كذلك حال ما يقدم له فى أحد مطاعمهم أهو من الحلال أم من الحرام حل له التناول أيضا .

أما إذا علم أنهم لا يذبحون ، أو كان الشأن عندهم عدم الذبح ؛ بل يضربون الحيوان حتى تزهق روحه ، فإنه لا يحل فى هذه الحالة لانه يكون إذا من الموقوذة المحرمة .

هذا وما لم يعلم أنهم سموا عليه غير اسم الله تعالى فهو حلال ، وهذا يتناول ما إذا علم أنهم يذكرون عليه اسم الله ، وما علم أنهم يتركون فيه التسمية أصلا ، وما جهل فيه الحال .

وخلاصة ما تقدم جميعه أنه إذا كان المسلم فى بلد من بلاد أهل الكتاب « اليهود أو النصارى » . وكان لا يعرف حال ما يأكلون أو يبيعون من لحوم الحيوان أهو من الحلال كالبقر والغنم المذبوحة على نحو ما تقدم . أم مما حرمه الله من الخنزير والحيوان غير المذبوح ؛ فإنه يحل له أن يأكل ما يقدم له فى أى مطعم من مطاعمهم ؛ إذا لم يعلم أن ما قدم له هو من المحرم ، أو يعلم أن الغالب عندهم هو المحرم ، لأن الأصل فى طعام أهل الكتاب هو الحل ، والأحكام تبنى على الأصل ما لم يعلم خلافه .

مكتبتنا العربية

هذا هو المأخوذ من قواعد العلامة ابن رجب الحنبلي ، كما يعلم بالرجوع إلى صفحة ٢٣٨ و ٣٤٤ من هذا الكتاب .

ويؤيد هذا أن الصحابه رضوان الله عليهم كانوا بعد نزول قوله تعالى : «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم» : يتناولون من أطعمة أهل الكتاب ولم ينقل أنهم كانو يتحرجون من أكلها أو يسألون عنها حينئذ .

هذا . وإذا أراد المسلم أن يدفع عن نفسه ما يجده من ريبة وشك ، فليسأل من يثق به، ولا يتهمه بالكذب، وليعمل بخبره ولو كان غير مسلم ، دفعاً لما يجده فى نفسه من الريبه والشك .

هذا والمضطر الذى تناول الميتة ونحوها هو الذى يخشى على نفسه أو تلف عضو من أعضائه لو لم يتناول الميتة ونحوها ما لا يجد من الطعام الحلال ما يدفع هذه الخشية .

هذا ما اختارته اللجنة من أقوال الفقهاء، لأنه هو المتفق مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية من التيسير ودفع الحرج والمشقة .

وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

الجمع بين التعزية والتهنئة

أول من فتح الباب فى الجمع بين التعزية والتهنئة : عبد الله بن همام فولجه الناس جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا .

ومن جيد ما قيل فى ذلك قصيدة لأبى تمام الطائى يمدح الواثق بالله ويرثى المعتصم من خلفاء بنى العباس ، يقول فيها :

إن أصبحت هضبات قدس أزالها ... قدر فما زالت هضاب شمام
أو يفتقد ذو النون فى الهيجان فقد ... دفع الإله لنا عن الصمصام
أو كنت منا غارباً غدوا فقد ... رحنا باسمى غارب وسنام
تلك الرزية لا رزية مثلها ... والقسم ليس كسائر الأقسام

مكتبتنا العربية

الحكماء السبعة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المتعال الصعيدى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

نشرت مجلة الأزهر فى جزء ربيع الأول سنة ١٣٦٩ هـ من المجلد الحادى والعشرين مقالا للدكتور الفاضل أحمد فؤاد الأهوانى تحت عنوان - الحكماء السبعة - قال فيه : ولست أدرى أعرفهم العرب فى الإسلام أم لا ؟ نعنى أسماء الحكماء السبعة وصفاتهم وأقوالهم ، وأنهم يمثلون أول ظهور الحكمة أو الفلسفة ، وقد ذكر القفطى فى أخبار الحكماء[1] أساطين الحكمة ، تكلم عنهم عند ما تعرض لانباذ قليس ، فقال : إنه « حكيم كبير من حكماء اليونان ، وهو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطين الحكمة ، وأقدمهم زماناً ، والخمسة هم : أبيذقليس هذا ، ثم فيثاغورس ، ثم سقراط ، ثم أفلاطون ، ثم أرسطاطاليس ، ولم نقع على نص آخر فى الفهرست ، أو طبقات الأطباء أو كتب فلاسفة العرب يدل على أنهم عرفوا الحكماء السبعة ، نقول وليس فيثاغورس حكيما ، بل هو متأخر عن الحكماء السبعة ، وإليه يعزى القول « لست حكيما ولكنى مؤثر للحكمة » والمؤثر للحكمة هو الفيلسوف ، كأن الفلسفة فى اليونان نشأت فى أحضان الحكمة العملية التى جرت على لسان الحكماء السبعة[2] .

ولو أن الدكتور الفاضل بحث فى كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لوجد فيه نصاً عن أولئك الحكماء السبعة ، ولعرف منه أن العرب عرفوا أيضاً هؤلاء السبعة من الحكماء القدماء ، كما عرفوا الخمسة الذين أتوا بعدهم ، وكانوا يسمون أساطين الحكمة .

---

(١) يعنى كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء .

(٢) ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ من المجلد الحادى والعشرين من مجلة الأزهر .

مكتبتنا العربية

وهذا النص يوجد فى ص ٤٤٧ من الجزء الثانى من كتاب كشف الظنون [١] وهذا عند الكلام على علم الحكمة ، فقد عرفها أولا ، ثم قسمها إلى حكمة عملية وحكمة نظرية ، وذكر فى ذلك كلاما كثيرا ، ثم تكلم على تاريخ الحكمة عند الأمم القديمة من الكلدان والقبط والسريان واليونان والروم والفرس ، إلى أن قال : وأول من تكلم فى الفلسفة على زعم فرفوريوس الصورى فى تاريخه السريانى سبعة : أولهم ثاليس ـ طاليس ـ وقال آخرون : فوتاغورس ، وهو أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم ، وله رسائل تعرف بالذهبيات ، لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب ، ثم تكلم على الفلسفة سقراط من مدينة آتنه ـــ أثينا ـــ بلد الحكمة ، ومن أصحاب سقراط أفلاطون ، كان من أشراف يونان ، وكان فى قديم أمره يميل إلى الشعر ، فأخذ منه بحظ عظيم ، ثم حضر مجلس سقراط ، فرآه يثلب الشعراء فتركه ، ثم انتقل إلى قول فيثاغورس فى الأشياء المعقولة ، وعنه أخذ أرسطاطاليس ، وألف كتبا ، وترتيب كتبه هكذا : المنطقيات ، الطبيعيات ، الإلهيات ، الخلقيات ، وقد مضى بعد هـــذا فى الكلام على كتب أرسطاطاليس ومن ترجمها فى الإسلام الخ

والمهم فى هذا النص هو القول الأول الذى يجعل ـ طاليس ـ لا فوتاغورس هو أول الحكماء السبعة ، لأن هذا يوافق كل الموافقة ما نقله الدكتور الفاضل من الأقوال فى هؤلاء الحكماء ، لأن الأقوال التى نقلها متفقة فى جعل ـ طاليس ـ على رأسهم ، كما تتفق فى ثلاثة آخرين ، وهم بياس وبثاقوس وسولون ، وإنه ليكفى ذلك فى معرفة العرب بهؤلاء الحكماء ، وإن كان صاحب كشف الظنون قد اقتضب النص الذى نقله عن فرفوريوس ، ولم يذكر من هؤلاء الحكماء إلا حكيما واحداً ، وهو ـــ طاليس ـــ لأنه يذكر فى أولهم ، ومن المرجح أن هناك نصوصاً أخرى غير هذا النص الموجود فى كشف الظنون فى الكتب العربية التى تعنى بالكلام على الفلسفة ، ومن المرجح أيضاً أن هذه النصوص قد توسعت فى الكلام على هؤلاء الحكماء ، وذكرت أسماءهم كلهم ، كما ذكرت الأقوال المختلفة فى تعيين أسمائهم ، على نحو ما ذكر الدكتور الفاضل ، وكان هذا سببا فى اقتصار

[١] مطبعة العالم بالآستانة

مكتبتنا العربية

صاحب كشف الظنون على ذكر ـ طاليس ـ وحده ، اكتفاء به عن ذكر غيره ، لأن كتابه لا يعنى إلا بذكر إلمامات صغيرة من كل علم ، على أنه مع هذا ينقل عن كتاب لفرفوريوس ذكرت فيه أسماء هؤلاء الحكماء ، ولم يقتصر فيه على ـ طاليس ـ وحده ، فلا بد أن يكون صاحب كشف الظنون قد اطلع عليهم فى هذا الكتاب ، ولا بد أن يكون غيره من فلاسفة العرب قد اطلع عليهم قبله ، لأن فرفوريوس كان معروفا لهم ، وكذلك كانت كتبه معروفة لهم لترجمتها إلى العربية .

وقد كان فرفوريوس الصورى من فلاسفة القرن الثالث الميلادى (٢٣٣ ـ ٣٠٥ م) ولد فى صور ، وأخذ على أفلوطين ، وقد شرح محاورات أفلاطون الكبرى ، وشرح من كتب أرسطاطاليس المقولات والأخلاق والطبيعة والإلهيات ، ووضع كتاب إيساغوجى ، وهو كتاب المدخل إلى مقولات أرسطاطاليس ، وقد نقله إلى العربية أبو عثمان الدمشقى ، وله أيضا كتاب أخبار الفلاسفة ، وقد ذكر القفطى فى كتابه — أخبار العلماء بأخبار الحكماء — أنه وجد منه المقالة الرابعة بالسريانى ، والظاهر أنه هو الكتاب الذى نقل عنه النص السابق صاحب كشف الظنون .

ومن هذا يتبين أن الحكماء السبعة عند العرب غير الحكماء المعروفين عندهم بأساطين الحكمة ؛ لأن هؤلاء الحكماء خمسة متفق عليهم عندهم ، أولهم ابيذقليس ، وقد قيل إنه كان فى زمن داود عليه السلام ، وآخرهم أرسطاطاليس ، وقد كان موجودا فى القرن الرابع قبل الميلاد (٣٨٤ — ٣٢٢ ق م) .

وأما الحكماء السبعة فأولهم طاليس ، وقد كان موجودا فى القرن السادس والسابع قبل الميلاد . (٦٢٤ — ٥٤٦ ق م) وما نقله العرب من ذلك يوافق ماتقله فلاسفة أوربا بعدهم ، وإنى أرى أن معرفة الحكماء السبعة ليست من الدقة بحيث تخفى على فلاسفة العرب ، وقد عرفوا كثيرا من دقائق الفلسفة ، فأهون بهذه المسألة أن يعرفوها أيضا .

مكتبتنا العربية

علي بن أبي طالب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى

وكيل معهد أسيوط

لو أن لى نبعا من ينبوع بلاغتك ، أو قبسا من نور هدايتك ، أو رشفا من ديم مزاياك . أو مرقى إلى مستوى علياك ، لملكت تصويرك للقراء الكرام ؛ وإنما يُحسن التصوير ولا سيما لمثلك بليغ منطيق ، وإنما يقدم حكيما عليما مثلك حكيم عالم ، ولكننى محب معجب ، أراد أن يوفى بعض الحق لإمام من أئمة الإسلام ، هو فى الحق مجمع لعدة إمامات ، وشمس سطعت على الكائنات ، فبحق أقول : إنه عالم ربانى أوتى من ظاهر العلم وباطنه ما استعصى على غيره بعد النبيين ، ومتكلم حكيم تطرق إلى أبواب لا يحسنها سواه من الناطقين فى عذوبة خلابة ، وأسلوب بديع .

أيها الإمام المظلوم : مثلك من غبن حقه فى هذه الدنيا فلم تصف له ، ومثلك من جمد على الحق غير مبال أن ينفض مَنْ حوله ، ومثلك من عرف قيمة هذه الحياة فشجع ولم يبال بالموت ! يا إمام الأتقياء ومن أوتى الحكمة ؛ فكان أخطب خطباء هذه الأمة بعد السيد الرسول صلوات الله عليه . هل درى الناس بم نلت هذه المزايا ؟ وكيف اكتسبت تلك المواهب والعطايا ؟ أحاولت أن تكون عليا فكنته ؟ أم ذلك محض فضل من الله نلته ؟ وما من شك فى أن الكل من الله ، ولكنه حين يريد يؤتى الأسباب ، وييسر الطلاب

أيها القارىء الكريم : هذا هو على بن أبى طالب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره الذى حاول معاوية بن أبى سفيان أن يفتخر عليه فقال لغلامه أكتب إليه :

مكتبتنا العربية

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها فأيكمُ له سهم كسهمي
سبقتكمو إلى الإسلام طرا غلاما ما بلغت أوان حلمي

ولد والرسول صلى الله عليه وسلم رجل يرشحه الله سبحانه للنبوة في الثانية والثلاثين من عمره، ونشأ في بيت محمد بن عبد الله لفقر أبي طالب إذ ذاك، وما ظنك بناشيء في بيئة محمد، تربيته على العلم، والأدب والحكمة، والكمال والمجد والرجولة، لهذا كرم الله وجهه فما سجد لوثن قط، وما عرف طريقا لم يسلكه الرسول قط، لهذا أحبه وآثره وآخاه، فقال: أنت مني بمنزلة هرون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي. وهذا حق - وأبيك - فهي أخوة نسب، وأخوة صداقة، وأخوة اتفاق في المزايا والصفات، إلا ما خص الله به عبده محمدا، وهو ذو الفضل العظيم، لقد أفاد علي بهذه الصلة الخاصة الكريمة ما لم يجتمع لسواه، وهو من أبوين طيبين من عنصر بني هاشم وهم صفوة الله من عباده، أبوه أبو طالب المعروف، وأمه فاطمه بنت أسد بن هاشم جد هذا البيت الكريم. فلا غرو إذا أفاد من ذلك القران وتلك الصحبة.

لقد أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان إذا غضب لم يخاطبه أحد سواه، ولقد بذل له من النصح والإخلاص في التعليم والتربية ما صار به عالما ربانياً، لا يتسامى إلى منزلته غيره. أخرج ابن سعد عن علي أنه سئل بم كنت أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا؟ فقال: «إني كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكت ابتدأني»، لقد أثمر ذلك الحب الخالص بين علي وبين ابن عمه، ذلك العلم القلبي النافع، لا العلم اللساني الضار، فكان علي يؤثر غيره بالدنيا على نفسه، ويطعم الطعام على حبه، مسكينا ويتيما وأسيرا حتى قيل: إنه طوى ثلاثة أيام، وفي الثالث جاءه رزق فأتاه ضيف وهو على مائدة الإفطار مع زوجه وابنيه الحسن والحسين؛ فرفع الطعام من فوق المائدة وآثر به السائل، ولم يطعموا ليلتهم على ما بهم من مسغبة ومجاعة، فضرب المثل الكريم لأهل الإيثار، وعلم الناس كيف

مكتبتنا العربية

يروضون النفوس ويملكونها ، ومن ملك نفسه وشهوته فيهات أن يذل أو يسفل يوما ، كان على يصوم حتى يقال لا يفطر ، ويقوم حتى يقال لا ينام ، يضرع إلى الله ربه ويبكى من ذنبه ، ويحاسب نفسه على كل ما يصدر منه ، ولهذا كانت نفسه مرآة صافية ، وواضحة خالصة لا يغش ولا يكذب ولا يظلم ، صريحا لا يعرف المواربة وواضحا لا يقبل المخادعة ، وقويماً لا يرضى المداورة . إذا سمع خطة لا يؤمن بها قال : لا بملء فيه ، يدور مع الحق أنى كان ، ومع من كان ، لا يطلب الخلافة لأنها ملك ودنيا يصبها ، ولكن ليضع الحق فى نصابه ، خاليا من كل خطر نفسى ، ومأرب دنيء ، والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا ما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ؛ لألقيت حبلها على غاربها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عطفة عنز ، بل اندجت على مكنون علم لو بحت لكم به لاضطربتم اضطراب الأرسية فى الطوى البعيدة ، لقد أفاد من تلك الصلة الكريمة مع ذلك الاستعداد الخصيب ؛ فكان جريئا فى الحق ولو على نفسه ، أو من هو فى احتياج ملح إلى نصره ، والاعتزاز به فبشر قاتل خصمه ، والمؤلب عليه وتبرأ منه ، لأن ذلك الخصم من خيرة أصحاب محمد ومن كانوا موضع تقديره : اغتال عمرو بن جرموز المجاشعى الزبير بن العوام وهو نائم ، وأقبل برأسه على ابن أبى طالب فما كان من على إلا أن قال : أبشر بالنار . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بشروا قاتل الزبير بالنار » . فخرج عمرو وهو يقول :

أتيت عليـــاً برأس الزبير ... وكنت أحسبها زلفـــة

فبشر بالنار قبل العيان ... فبئست بشارة ذى التحفـــة

ثم أتى بسيفه فنظر إليه مليا وقال : رحمه الله الزبير لطالما فرج به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحمك الله ياعلى لقد كنت موئلا للشريعة الإسلامية ، تأرز إليك كما يأرز الضب إلى حجره ، ولقد كنت مصدرا أمينا من مصادر التشريع ، اتخذك الشيخان أبا بكر وعمر مستشارا لهما ، لا يفصلان فى معضله إلا بعد فصلك ، ولا تختلف واحد منها عليك فى رأى ، إلا رجع إلى قولك ، حتى ضرب الناس المثل بك فى معضلات الأمور ومشكلاتها ، فقالوا : قضية

مكتبتنا العربية

ولا أبا حسن لها - وكان ذلك مصداق ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنا مدينة العلم وعلى بابها »[1].

ولقد كنت تقول فصلا وتحكم عدلا ، حتى قل أن يترك لك قول الحق صديقا ، ولو كان ابن عباس حبر هذه الأمة ، وابن عمك المخلص الأمين إن صح ما يقول المؤرخون .

وقد أفاد من ذلك خصمك معاوية ، ورزأك بتسامحه ولينه فى خلصائك ونصحائك، حتى فى أخيك عقيل الذى طلب منك فقلت : أصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين ، فلما ألح بك ، قلت لبعض القوم : خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق ، فليدق الأقفال وليأخذ ما فى الحوانيت ، فقال لك : تريد أن تتخذنى سارقا فقلت له : كما أردت أن تتخذنى سارقا آخذ أموال المسلمين ، فاعطيكها دونهم ، ولما ذهب إلى معاوية أعطاه مائة ألف ثم قال له : اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به على وما أوليتك ، ولكن الفتى الهاشمى المطلبى عقيلا لم يبع كرامته من معاوية ، ولم يقبل خطة الضيم فى أخيه : فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنى أخبركم أنى أردت عليا على دينه فاختار دينه ، وأردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه . وقه أنتم يابنى هاشم .

إن على بن أبى طالب لو قيل أن يستبق معاوية على إمرة الشام ، ويقضى على بعض أمره ، لقد كان ذلك جديرا أن يخفف ضائقة العداء القائم ، وربما غير ذلك وجه السياسة ووجه الدفة وجهة على ، ولكن رفض كل الرفض من جميع الساسة والعظماء الذين أخلصوا له ، لأنه لا يؤمن إلا بوحى ضميره ، ولأنه على بينة من ربه ، فلم يرض أن يقره ولا أحدا من عمال عثمان ، حتى يستتب الأمر وما ظنك بالاستهداف لخصومة الرؤساء. ولكنه الذى لا يبالى ، والذى يقول حين يناقش : « ما شككت فى الحق منذ أريته من وقعه بماء لم يظمأ » .

وقد اتصل بهذا التمسك العجيب والتماسك الطليب ، ورع وزهادة ونيل ومجادة ، وتعفف أعجب العدو والصديق ، وكذلك من رأى الحق رأى العين ، وكان

---

(١) اختلف المحدثون فى الحديث فمن قائل بوضعه كابن الجوزى ، وقائل بصحته كالحاكم والأغرب أنه حسن .

مكتبتنا العربية

مع الله ولله . قال المؤرخون : إنه نهى أصحابه يوما عن انتهاب الأموال بعد أن اتخنوا فى أعدائهم الجراح ، فجعلوا يمرون بالذهب والفضة ، فلا يعرض له أحد إلا السلاح الذى قاتلوا به ، والدواب التى حاربوا عليها فسدبوا من يناقشه لعله يرحم أطماعهم ويبل ريقهم : يا أمير المؤمنين : كيف حل لنا قتالهم ، ولم يحل لنا سبيهم وأموالهم . ويقول على : ليس على الموحدين سبى ، ولا يغنم من أموالهم إلا ما قاتلوا به وعليه ، فدعوا ما لا تعرفون وألزموا ما تؤمرون ، رحمك الله يا باب العلم والأمانة ، إننى أعلم أن أحكام الخارجين من المسلمين ومعاملتهم وما فى ذلك من غوامض أنه مصدره ومرجعه فى الفقه الإسلامى بما شرعت للناس من أحكام لم تعرف من قبلك .

فأما شجاعة على واستبساله فقد تواتر حتى دخل فى حد الأوليات ، وأول موقف عجيب له كان ليلة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين مكرت قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يخرجوه أو يثنوه ، وجاءوا يترقبون خروجه لصلاة الفجر ، وأقام عليا فى مكانه ، يستهدف لخطرهم ، ويفدى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه من مكرهم . وكان نوماً هادئاً جميلا لا أرق فيه ولا تفكير ، لأنه نوم الذى يصف نفسه « ما أبالى أسقطت على الموت أو سقط الموت على ، والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الصبى بثدى أمه ، ويخرج على إلى الصلاة فلا يجدون سواه . . »

ولقد بارز فى كل غزوة بما تنبئك كتب السير بعجائبه ، وخوارقه التى لولا ما يصح بالرواية منها لدخل فى حد الخرافات .

وهو إلى ذلك مهذب مؤدب ، متواضع ينزل عن بعض صفاته لخيرة أحبابه ، ويقوم على ذلك بحجته . أخرج البزار فى مسنده عن على أنه قال : أخبرونى من أشجع الناس ؟ قالوا : أنت : قال أما إنى ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه ولكن من أشجع الناس ؟ قالوا لا نعلم فمن ؟ قال : أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا ، فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى إليه أحد ؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه . فهذا أشجع

مكتبتنا العربية

الناس . رحمك الله يا على لقد فتن الناس بمواهبك لما كان يظهر من عبقريتك ، فعلمك كهيئة المكنون وشجاعتك تحار فيها الظنون ، وفصاحتك لم يتطلع إليها المتطلعون ، وزهدك أعيى به الراهبون ، وقد كان يلد لخصمك معاوية أن يسمع من أصحابك عنك ، وهو من أعلم الناس بك ، ويلح فى الطلب وما أبدع وأوجز ما وصفك به عدى بن حاتم فى كلمته الطويلة التى يقول فيها عنك : « يقول فصلا ويحكم عدلا ، تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة ، يحاسب نفسه إذا خلا ويحاسب نفسه على ما مضى ، يعجبه من اللباس ماقصر ، ومن العيش ما خشن ، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، يعظم أهل الدين ، ويتحبب إلى المساكين ، لا يخاف القوى ظلمه ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فاقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل فى محرابه ، وأرخى الليل سدوله ، وهو يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، فكأنى الآن أسمعه وهو يقول : يادنيا غرى غيرى إلى تعرضت ؟ أم إلى تشوفت ؟ هيهات غرى غيرى طالق يادنيا ، طالق ثلاثاً لارجعة بعدها ، وقد كان معاوية يبكى حين يسمع وصف على ويترحم عليه ، وبعد فلعل لى رجعه إلى التنويه بالإمام بوصف فصاحته ، وما خلف من أدب هو الذخيرة لمن أراد الثراء الادبى النفيس .

من كلام الامام

من كلام على عليه السلام قوله : رأى الشيخ خير من مشهد الغلام . الناس أعداء ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا ثمن لها ، يدرك ما فات ، ويحيى بها ما أمات .

أخذ معنى هذه الفقرة الأخيرة أبو الفتح على بن محمد البستى من مجيدى شعراء القرن الرابع الهجرى المتوفى سنة (٤٠٠) هـ فقال :

بقية العمر عندى ما لها ثمن ... وإن غدا وهو محبوب من الثمن

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـ ... ـيى ما أمات ويمحو السوء بالحسن

مكتبتنا العربية

مع الشعراء

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

الحديث عن الشعر فيه من الطرافة والحسن ، والجمال والروعة ، والنزوع والرغبة ، والحنين والشوق ، ما يثير الإحساس المرهف ، والوجدان المتيقظ والقلب اللماح ، والفكر المتوثب ، وأنا من هؤلاء الذين يهيئون له من الفراغ ، ويعدون له من البال ، وينظمون له من الدراسة ، بمقدار ما يجعله منهم كالداء الملح ، والعلة التي يستعصى علاجها ، ويتعسر التطبيب لها ، وربما اعثرت بالبيت والأبيات فوددت لو تكلمت من بوق عظيم لأنغمه للناس ، أسمعه لمن فى الأرض جميعا ، وأعتقد أنه إذا كان للأشياء من مسمياتها نصيب ، فإنه سمى بهذا الاسم ؛ لأنه يمتاز عن غيره من أساليب الكلام بكونه يخاطب الشعور ويلهب العواطف ، ويحرك أوتار الحس ، ولولا هذا لما قالت قريش حينما دهشت للقرآن الذى ملك عليها أقطار البلاغة ، وقطع دونها طريق المعارضة : « إنه شعر » .

والحق أنه ، إذا تكاملت لصاحبه الملكة ، وتوفرت له الدواعى ، وأسعفته الألفاظ ، يبلغ فى سفارته للعقول ، وفعله بالأفئدة ، ولعبه بالأهواء ، وسلطانه على الضمائر ، مالا تبلغه التعاويذ والرقى ، والسحر والحيلة .

ولهذا جعلته الأمم فناً من فنون الجمال ، يحتفلون به ، وتهزهم العناية له والانكباب عليه ، ويباهى الرجل أو المرأة بما يربطهم به من نسب ، ويصلهم به من وشائج ، وإذا كان لأحدهم تذوق له ، وفهم فيه ، طاول بعنقه ، ولوى عطفه

مكتبتنا العربية

واشمخر بأنفه، وزها زهو الملوك الفاتحين ، والقواد الظافرين ، وسجل التاريخ أن الشعر لعب دوراً هاما فى نهوض الجماعات والشعوب ، وتقدم الأفراد والأمم وأن البيت الواحد كان يقيم دولة ، ويخفت صولة ، ويوجه رأياً، ويناصر مذهباً ، ويقضى على سياسة ، وينامض فكرة .

ومن أجل ذلك أثِرَ عن العرب أنها ما كانت تغتبط لشىء مثل اغتباطها بشاعر يولد ، أو خرس تُنتَج ، وكانوا يقيمون له الأسواق ، كما تقيم الدول المتمدينة المعارض الدولية : لتبرز فيها أحسن ما صنعته أيدى الصناع فيها من كل مايدل على تقدمها ونبوغها ، وصلاحيتها لأن تجارى ركب الحضارة والتقدم ، والسياسة والعمران ، وكثيراً ماتتجلى لنا القضايا العلمية ، والمسائل العقليّة ، فى لباس الوزن الموسيقى ، والجرس التوقيعى ، والتفاعيل الخليليّة ، فتناقلها معجبين ، وتتدارسها فرحين ، ثم لا تلبث أن تدوى فى الخافقين ، وتطير من غير جناحين ، وإذا الألسنة تردّدها ، والآذان تصغى إليها ، ولأمر ما كان الخلفاء يحتفلون بالشعراء يترضونهم ، ويخطبون مودتهم ، ويغدقون عليهم من العطاء ، ما يطلق ألسنتهم بالثناء ، وقد عرفنا ممن بلغ به الترف والنعمة ، والسّراء والسعة ما جعله أشبه بأصحاب الجاه والملك ، فى مأكله ومسكنه ، وسمته ومظهره ، وحديث المتنبى مع سيف الدولة ، واقتراضه أوامره عليه ، وتحكّمه فيه ، ليكون له قصر مثل قصره ، فيه من العبيد والخدم ، والجوارى والإماء ، والنمارق والبسط ، ما يخيل للرائى أنه لا فرق بين الرجلين ، ولا خلاف فى مظهر الشخصين ، يؤيد هذه النظرية إلى أبعد حدود التأييد ، وإذا كان بعض الناس يتهمون الشعر بأنه من لهو الحياة وفضولها ، وعبث التفكير ومجونه ، وأنه لا يشتغل به ، ولا يلتجىء إليه ، إلا أولئك الذين صرفهم الله عن الواجب ، ولوى عنانهم عن الجادة الصحيحة ، والمهيع المستقيم ، لأنهم يفرقون فى الخيال ، ويبعدون فى الوهم ، ويعيشون فى أضغاث الأحلام ، فإنهم يسرفون ولا ينصفون ، ويتحاملون ولا يتجاملون ، ويخبطون خبط العشواء فى الليلة الظلماء .

مكتبتنا العربية

وقد عبد القاهر الجرجانى حين سئل فى ذلك ، فقال : هو من الكلام جيده جيده ، ورديئه رديئه ، ونقل حافظ إبراهيم عن المرحوم الأستاذ الإمام فى مقدمة ديوانه هذه الجملة : « لو أنهم سألوا الحقيقة أن تختار لها بيتاً تشرف منه على الوجود لما اختارت غير بيت من الشعر » .

ومن الغريب أن الذين يعيبون الشعر وينكرونه على الناس ، لا يلبثون إذا أعيتهم مسالك التعبير ، وضاقت بهم دروب المنطق ، وأعجزتهم أساليب البيان ، أن يطلبوا منه الشواهد ، ويستعينوا به على الإفهام ، معتقدين أنه « جهيزة » التى قطعت قول كل خطيب ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : خير ما يقدمه الرجل بين يدى حاجته الأبيات من الشعر يهزبها الكريم ، ويستنزل بها اللئيم ، وكلنا يعرف أن التراث العلمى الذى وصل إلينا عن الأندلسيين كان خاليا من الجفوة ، بعيداً عن الغلظة ، سالما من غرابة التأليف ، وتعقيد التراكيب ؛ لأن أهله غلب عليهم الطابع الأدبى ، والأسلوب الشعرى .

وإذا صح ما يقول القائلون من أن أصحاب المواهب والملكات ، والعقول والأفكار ، لهم رسالة فى الحياة ، لا شك فى أنه يجب عليهم أن يؤدوها على أكمل وجه ، وأحسن مثال ، فإن رسالة الشعراء أنبل وأشرف ، وأثمن وأغلى ، وأخلد على الزمن ، وأبقى على الأيام والليالى ، لا لأنهم أقدر على التعبير ، وأملك لعنان القول ، وأعرف بمواطن الشعور ، ومسارب الأحاسيس ؛ بل لأنهم — مع ذلك — أشد الناس معرفة بمعنى الحياة ، وأكثرهم فهما لما لابد أن يهدف إليه الأحياء ليؤدوا ضريبة وجودهم فى هذا الكون الفسيح ، ونحن نرجو أن ينفخوا فى روع المعاصرين ، ويأخذوا بأيدى المدلجين ، لتستقيم بنا السبيل ، وتعتدل المحجة ، فليس الشعر آهة تلتهب ، وأنفاسا تحترق ، وليلا يطول ، وحالا تحول ، ومعانى تحمل على الضعف ، وتغرى بالفسوق والعصيان ، ولكنه الاتجاه إلى أنبل الأهداف ، وأسمى المقاصد ، وأحسن الغايات .

مكتبتنا العربية

أعلام الأزهر

المنفلوطى

١٨٧٦ - ١٩٢٤ م

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل الفقى
المدرس بكلية اللغة العربية

— ٢ —

المنفلوطى الناقد :

« والمنفلوطى » إذ نقد الأحوال السياسية أو الشئون الاجتماعية أو الأدبية ، أو تناول نقداً شخصياً بينه وبين مصاول كان بارع النقد ، لماح الفكر ، يعالج الموضوع فى تحليل مستوعب ، وإلمام شامل ، ولا يجمح قلمه فيما ينقد ، أو يتجاوز العفة والنزاهة وتوخى الحق فيما يرى ، وقد أثر عنه كرم القلم ، وترفع الأسلوب ، ونزاهة الرأى ، على رغم ما ارتصد له من عقارب تنفث سمومها على الصحف وفى المجتمعات ، ولكنه كان يعتصم دائما بقوله : « إن الله وحده هو الذى يستطيع أن يغير طبيعة الإنسان » .

ومهما يكن من شىء « فالمنفلوطى » فى الأدب أمة وحده ، نهج فيه نهجاً رفيعاً مبتكراً ، وخلد بهذا الفن الرائع ذكره ، واستحق أن تصفه صحيفة « الهلال » بأنه « أمير النثر العصرى » ، وأن يقول فيه الأستاذ أحمد الزيات : « فإذا قدر الله لأدب المنفلوطى أن يفقد سحره وخطره فى أطوار المستقبل ، فإن تاريخ الأدب الحديث سيقصر عليه فصلا من فصوله ، يجعله فى النثر بمنزلة البارودى فى الشعر »[1] .

(١) مجلة الرسالة السنة الخامسة العدد ٢١٠ .

مكتبتنا العربية

شعره :

« للمنفلوطى » شعر جمع بين الجزالة والسهولة ، رصين القافية ، فخم التعبير ، وله قصائد رائعة ، متينة السبك ، محكمة النسج ، لطيفة المعنى ، بارعة الوصف ، وله فى الوجديات غرر ، وفى الحكم بدائع ، غير أنه مقل ، لم يتجه إلى الشعر اتجاهه إلى النثر الذى ملك عليه نفسه ، واستأثر بقلمه ، ولو أنه ولع بالشعر ترفق به وخلّى بينه وبين الشعر أحيانا أخرى ، لكان من أبرع الشعراء وأنبه الفحول .

آثاره الأدبية :

النظرات : وهى مقالاته الفذة الرائعة الأسلوب ، التى كان ينشرها فى « المؤيد » تباعا ، ويعالج فيها شئون المجتمع ، وقد كانت مثار شهرته ، وبعد صيته ، وهى مطبوعة طبعات متعددة .

العبرات : مجموعة روايات موجزة ، وضع فريقا منها ، وترجم فريقا آخر ، وقد ساقها عظة وتذكرة ، وهى اليتيم ، والشهداء ، والحجاب ، والذكرى ، والهاوية ، والجزاء ، والعقاب ، والضحية ، ومذكرات « مرغريت » ، وهى مطبوعة تكرر طبعها .

الشاعر أو « سيرانودى برجراك » : رواية أدبية تهذيبية ، غرامية تمثيلية ، استخلصها من روايات « أدمون أوستان » ، تكرر طبعها أيضا .

ماجدولين : أو تحت ظلال الزيزفون . ألفها الكاتب الفرنسى (الفونس كار) ونقلها عن الفرنسية إلى العربية « المنفلوطى » فى قالب قصة خيالية تخيل وقائعها فى ألمانيا ، وأملى عليه ترجمتها الحرفية صديقه الأستاذ « محمد فؤاد كمال بك » ثم تصرف فيها « المنفلوطى » بأسلوبه وهذبها بحذف ما يجافى الذوق العربى منها مع حفاظه لطابع الرواية ومغزاها [1] .

وقد كتب الأستاذ « خير الدين الزركلى » خلاصة شعرية لهذه الرواية ، وهى نسخة فى مجلد واحد تكرر طبعها .

---

(١) إذا قلنا نقل هذه الرواية من الفرنسية إلى العربية المنفلوطى فإنما نعنى أنه كلف من نقلها لجهله الفرنسية .

مكتبتنا العربية

الانتقام : رواية أدبية اجتماعية أخلاقية ، تصور حكاية المسيو « كابرينى » وكيف قضى شطرا طويلا من حياته سعيدا بزوجته وثروته ، حتى عصف الدهر بهما ، مع تصوير ما وقع لابنته مع زوج أبيها من بؤس وتعس إلى غير ذلك من مشاهدها طبعت بمطبعة المكتبة التجارية سنة ١٩٢٣ م وغيرها .

فى سبيل التاج : ألف هذه الرواية الشاعر الفرنسى الشهير « المسيو فرانسو كوبيه » ثم نقلها « المنفلوطى » إلى العربية ، وقد وقعت أحداث هذه الرواية فى القرن الرابع عشر بين العثمانيين وشعوب البلقان ، وأراد مؤلفها أن يجارى بها « كورنى » و« راسين » عميدى الشعر التمثيلى فى القرن السابع عشر ، طبعت بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٩٢٠ م ثم توالى طبعها .

الفضيلة : رواية ألفها الكاتب الفرنسى الشهير المسيو « برناردين دى سان بيير » ثم نقلها « المنفلوطى » إلى العربية بتلخيص وتهذيب ، وهى من الروايات الأدبية الأخلاقية الاجتماعية التى تؤرخ لحوادث غريبة ، كتبت عن جزيرة « موريس » إحدى جزر إفريقية الواقعة فى المحيط الهندى قريباً من « مدغشقر » وقد وصفت طبيعة هذه الجهة ، وصورت الاستعمار الأوربى بها ، وتحدثت عن أشخاص عاشوا بهذه الأصقاع ، وبآخرها قصيدة فى العظة والعبرة خاطب بها « بول » و « فرجينى » سنة ١٩٢٣ م ثم أعيد طبعها .

مختارات المنفلوطى : هى روائع من النظم والنثر مما استجاده واهتز له فؤاده ، ووقف عنده معجباً بأسلوبه وتصويره ، وقع عليها من كثرة ما يجيل النظر فى الكتب العربية وآدابها ، وهى دالة على حسن ذوقه ، وروعة اختياره .

نماذج من نثره

الحرية : نبذة مما كتبه بهذا العنوان .

« إن كثيراً من أسرى الاستبداد من بنى الإنسان لا يشعرون بما تشعر به هذه الهرة المحبوسة فى الغرفة ، والوحش المعتقل فى القفص ، والطير المقصص الجناح من ألم الأسر وشقائه ، بل ربما كان بينهم من لا يفكر فى وجه الخلاص ،

مكتبتنا العربية

أو يلتمس السبيل إلى النجاة مما هو فيه ؛ بل ربما كان بينهم من يتمنى البقاء فى هذا السجن ويأنس به ، ويتلذذ بآلامه وأسقامه .

من أصعب المسائل التى يحار العقل البشرى فى حلها : يكون الحيوان الأعجم أوسع فى الحرية ميدانا من الحيوان الناطق ، فهل كان نطقه شؤما عليه وعلى سعادته ؟ ، وهل يجمل به أن يتمنى الخرس والبله ليكون سعيداً بحريته ، كما كان قبل أن يصبح ذكياً ناطقاً ؟

. . . . . ، ليست جناية المستبد على أسيره أنه سلبه حريته ، بل جنايته الكبرى عليه ، أنه أفسد عليه وجدانه ، فأصبح لا يحزن لفقد تلك الحرية ، ولا يذرف دمعة واحدة عليها .

« لو عرف الإنسان قيمة الحرية المسلوبة منه ، وأدرك حقيقة ما يحيط بجسمه وعقله من السلاسل والقيود ، لانتحر كما ينتحر البلبل إذا حبسه الصياد فى القفص ، وكان ذلك خيراً له من حياة لا يرى فيها شعاعا من أشعة الحرية ، ولا تخلص إليه نسمة من نسيمها .

« لا سبيل إلى السعادة فى هذه الحياة إلا إذا عاش الإنسان فيها حراً ، لا يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ، ووجدانه وفكره إلا أدب النفس .

نماذج من شعره

قال فى الوجديات ، وشعره فيها أشبه بشعر البدو :

سقاها وحيا تربها وابل القطر ... وإن أصبحت قفراء فى مهمه قفر

طواها البلى طى الشحيح رداءه ... وليس لما يطوى الجديدان من نشر

مرابض آساد ومأوى أراقم ... تجاور فى قيعانها الفيل بالجحر

يكاد يضل النجم فى عرصاتها ... ويزور عن ظلمائها البدر من ذعر

لقد فعلت أيدى السوافى بثويها ... وأحجارها ما يفعل الدهر بالحسر

وقفت بها فى وحشة الليل وقفة ... أثار شجاها كامن الوجد فى صدرى

ذكرت بها العهد القديم الذى مضى ... ولم يبق منه غير بال من الذكر

وعيشا حسبناه من الحسن روضة ... كساها الحيا منه أفانين من زهر

مكتبتنا العربية

فأنشأت أبكي والأسى يتبع الأسى إلى أن رأيت الصخر يبكي إلى الصخر
وما حيلة المحزون إلا لواعج تفيض بها الأحشاء أو عبرة تجرى

إلى أن قال :

وفي القصر بين الظل والماء غادة تميس بلا سكر وتنأى بلا كبر
تريك عيونا ناطقات صوامتا فما شئت من خمر وما شئت من سحر
لهوت بها حتى قضى الليل نحبه وأدرجه المقدار في كفن الفجر
لعمرك ما راحت بلبي صبابة ولا نازعتني مهجتي سورة الخمر
ولا هاجني وجد ولا رسم منزل عفاه ولكن هكذا سنة الشعر
ومن كان ذا نفس كنفسي قريحة من الهم لا يعنى بوصل ولا هجر
كأني ولم أسلخ ثلاثين حجة ولم يجر يوما خاطر الشيب في شعري
أخو مائة يمشي الهوينى كأنه إذا ما مشى في السهل في جبل وعر
إذا شاب قلب المرء شاب رجاؤه وشاب هواه وهو في ضحوة العمر
حييت بآمالي فلما كذبتني قنعت فلم أحفل بقل ولا كثر
وأصبحت لا أبغي سوى الجرعة التي أذوق إذا ما ذقتها راحة القبر

كفاك شره

من كلام الإمام علي أمير المؤمنين :

خير المال ما أغناك ، وخير منه ما كفاك ، وخير إخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك شره

أخذ هذه الحكمة أبو الحسن محمد بن لنكك البصري وهو من أدباء القرن الرابع الهجري فقال وأجاد :

عديا في زماننا عن حديث المكارم
من كفى الناس شره فهو في جود حاتم

مكتبتنا العربية

المروءة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ على رفاعى
مفتش الوعظ بالأزهر

المروءة كلمة لفظها كمعناها حلو جميل ، إن قرعت السمع فعظمة وجلال ، وإن نفذت إلى القلب فنبل وسمو وشعور بالكرامة والكمال ، ولست أعدو الحق إن قلت : إن المروءة هى جماع الفضائل ، ورأس المكارم ، وعنوان الشرف ، بها يسمو المرء ، ويرتفع ذكره ، وبفقدها يفقد كل مكرمة ومحمدة وفضل : فهى ميزان الرجال ، وأصل الجمال ، فالمروءة تجمل النفس بما يزينها ، وتحصنها مما يعيبها ويزرى بها ، بحيث تكون للمحامد أهلا ، وعن النقائص بمنأى ومبعد ، ولا يكون ذلك إلا لمن راض نفسه على التخلق بالحسن من الصفات ، والتجمل بأحاسن العادات ، حتى يصبح التطبع جبلة ، والتعود غريزة ، وليس يستطيع ذلك إلا من جاهد نفسه ، ونازع هواه ، رغبة فى حسن الأحدوثة ، والذكرى الجميلة ، وحذراً من شين يزرى بسمو النفس وينقص من كمالها ، ولذا قيل من شرائط المروءة : أن يتعفف عن الحرام ، ويتصلف عن الآثام ، وينصف فى الحكم ، ويكف عن الظلم ، ولا يطمع فيما لا يستحق ، ولا يستطيل على من لا يسترق ، ولا يعين قوياً على ضعيف ، ولا يؤثر دنيّاً على شريف ، ولا يُسر ما يعقبه الوزر والإثم ، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... فنى صالح الأعمال نفسك فاجعل

وتكاد لا تجد ذا مروءة إلا إذا كانت نفسه شريفة ، وهمته عالية ؛ إذ شرف النفس يدعو إلى إعزازها وإكرامها ، بالبعد عما يحط من شأنها ، وينقص من قدرها . فشريف النفس لا يقبل الهوان ، ولا يتحمل المذلة من أى إنسان ، متمثلا قول الأول :

مكتبتنا العربية

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها ، كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن عليك لها ، فاطلب لنفسك مسكناً
وإياك والسكنى بمنزل ذلة يعد مسيئاً فيه من كان محسناً

وعلو الهمة يحمل المتحلى به على الترفع عن الدنايا من ظلم الناس والكذب عليهم ، وخلف مواعيدهم . وكيف يكون عالى الهمة من يجور على غيره ، ويفترى الكذب فى حديثه ، ولا يفى بما يعد ، إن هذا إلا وصف اللئام ، وحلية الأدنياء من أشباه الرجال ؛ ولذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها ، ويكره دنيها وسفسافها » . وفى حديث آخر يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ووجبت أخوته » .

ولأصحاب المروءات علامات تدل عليهم ، وأمارات ترشد إليهم كما قال الأول :

ومعشر صيد ذوى تجلة ترى عليهم للندى أدلة

فهم لأرحامهم واصلون ، ولأموالهم فى إغاثة المحتاج باذلون ، وبتقوى الله عاملون يتعففون عن المحارم ؛ كما يترفعون عن المآثم ، لا يقربون الفحشاء ولا يخوضون فيما لا يعنيهم ، شغلهم كرم نفوسهم عن الناس إلا فيما يعود على العباد بالخير والنفع . يروى أن معاوية بن أبى سفيان سأل عمرا عن المروءة فقال : هى تقوى الله تعالى وصلة الرحم ؛ وسأل المغيرة فقال : هى العفة عما حرم الله تعالى ، والحرفة فيما أحل الله تعالى ؛ وسأل يزيد . فقال : هى الصبر على البلوى ، والشكر على النعمى ، والعفو عند القدرة ، فقال له : أنت منى حقا .

وقال حكيم لابنه : الكامل المروءة من حصن دينه ، ووصل رحمه وأكرم إخوانه . ولعمر الحق ، مالمروءة إلا فى التمسك بأهداب الفضائل ، والعمل بأوامر الدين ، فالدين يأمر بالإحسان ويرغب فيه ، ويحث على إغاثة الملهوف ، وإعانة المحتاج ، بعبارات تستدر عطف البخيل ، كما تراه يأمر بصلة الأرحام ، وضبط الفرج والبطن عن الحرام ، فالمروءة هى الدين ، والدين هو المروءة ، وليست المروءة أن تعين إنسانا بمالك أو جاهك فحسب ، ولكن أن تكون تقوى الله

مكتبتنا العربية

أساس عملك والعمل على مرضاته أول همك ، فلا تعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانية ، فإن ذلك برهان خبث النفس ، ودليل لؤم الطبع وعلى مارسمنا من حد المروءة وشرائطها ، صح لذلك الذى رأى ما عليه الناس من النقص ، وفقد المروءة أن يقول :

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت علام تنتحب الفتاة ؟
فقالت كيف لا أبكى وأهلى جميعا ، دون خلق الله ماتوا

واعلم - هديت الرشاد - أن صيانة النفس عن الابتذال ، وذل السؤال بالجد والكفاح فى الحياة لتحصيل مايصلحك ، ويقوم بأود من تعول ، هو لب المروءة وسنامها ، ولن يضير ذوى المروءة أن يعملوا لكسب العيش ، وإصلاح الحال من أى طريق ما دام سبيلا مشروعا ؛ بل هذا هو الذى حث عليه الدين ورغب فيه سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، حفظا للكرامة ، وصيانة للنفس من الهوان الذى يلحقها بذل السؤال وذهاب ماء الحياء بالتطلع إلى ما فى أيدى الناس ؛ ولذا نرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجروا - عرض عليهم الأنصار أن يقاسموهم أموالهم وضياعهم ، أبت عليهم عزة نفوسهم قبول ذلك ، وقالوا لإخوانهم الأنصار : دلونا على السوق ، نبيع ونبتاع ، ونأكل من عمل أيدينا ! تلك وربى هى العزة ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ، فبالعمل يتمكن المرء من إصلاح شأنه وبر إخوانه ، والعطف على جيرانه ، ونيل عظيم الثواب بصلة أرحامه ، ومن تمام المروءة إيثار الغير على النفس .

ومما يروى من عجائب المتقدمين فى الإيثار ، ماحدث به أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى ، قال : كان لى صديقان أحدهما هاشمى وكنا كنفس واحدة ، فنالتنى ضائقة شديدة وحضر العيد ، فقالت امرأتى : أما نحن فنصبر على البؤس والشدة ! وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم ؛ لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا فى عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ؛ فلو احتلت فى شىء فصرفته فى كسوتهم . قال : فكتبت إلى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة علىّ بما حضر . فوجه الى كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم - فما استقر قرارى حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبى الهاشمى ؛ فوجهت إليه

مكتبتنا العربية

الكيس بختمه ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتى مستحييا من امرأتى ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ولم تعنفنى عليه : فبينا أنا كذلك إذ وافى صديق الهاشمى ومعه الكيس كهيئته . وقال لى : أصدقنى عما فعلته فيما وجهت به إليك . فعرفته الخبر على وجهه فقال لى : وجهت إلىّ وما أملك على وجه الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه إلى كيسى بخاتمى . قال الواقدى : فتواسينا الف درهم ، وأين من يفعل ذلك أينا ؟ أولئك قوم شروا الثناء فى الدنيا والنعيم فى الآخرة بعرض زائل ، فرّجوا به عن إخوانهم الكربات ، فنالوا الحسنيين وفازوا بالسعادتين .

يبقى الثناء وتذهب الأموال ولكل دهر دولة ورجال
ما نال محمدة الرجال وشكرهم إلا الجـواد بماله المفضال
لا ترض من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فعال

ولو ذهبت أحصى لك أخبار أهل المروءة ، ومواساتهم لمن يعرفون ومن لا يعرفون ، لما اتسع لى ولك المجال . ولكن ينبغى أن تعرف :

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ورث المكارم عن أب فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخنا ونهته عن سبل العلا فأطاعها
فإذا أصاب من المكارم خلة يبنى الكريم بها المكارم باعها

ومروءة الرجل ذخيرة لأولاده من بعده ، ينالون بها جميل العطف ، ويدفع بها عنهم كثيرا من حوادث الدهر ونوائبه . حكى أن الإمام على كرم الله وجهه قال : لما أتينا بسبايا طىء ، كان فى الناس جارية حسناء تقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : يامحمد هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت ألاّ تخلى عنى ، فلا تشمت بى أحياء العرب : فأنى بنت سيد قومى ، كان أبى يفك العانى ، ويحمى الزمار ، ويقوى الضعيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طىء . فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمن ، خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

مكتبتنا العربية

العقيدة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ بدر المتولى عبد الباسط
المدرس بكلية الشريعة

الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة المقربين أصل من أصول الدين ، فقد قرن الله الإيمان به بالإيمان بهم ، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » . وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » .

وجميع الكتب السماوية تثبت وجودهم ، وتوجب الإيمان بهم ، فهم الصلة بين عالم السماء وعالم الأرض وعالم الغيب وعالم الشهادة ، ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ، ملكا ، فيوحى بإذنه ما يشاء ، ، الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء قدير » .

بل إن المشركين أنفسهم كانوا يعتقدون وجودهم ويرونهم أحق بمقام الرسالة إلى البشر من الأنبياء والمرسلين ، وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، بل إن الأمم العريقة فى القدم والمدنية ، كانت تؤمن بهم وتراهم مضرب المثل فى الكمال والجمال ، قال تعالى حكاية عن صواحب يوسف ، وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » .

ولا عجب أن يؤمن الناس من قديم الزمن بوجود الملائكة ، فإن الملائكة ـ وإن كانوا غير مرئيين لنا ـ لا ينفى العقل وجودهم . فالفطر السليمة والعقول الصحيحة لا تدعى أن الإنسان قد أحاط بكل شىء علما ، فى كل يوم يكشف لنا العلم

مكتبتنا العربية

عن كائنات حية لم تكن نعلمها من قبل . فهل كانت قبل اكتشافها عدما ثم وجدت يوم اكتشفها الإنسان ؟ .

إنه لا ينبغى للإنسان أن يبلغ به الغرور مبلغا يفكر معه وجود ما لم يره . فما يعلم جنود ربك إلا هو ، وإذا كان العقل لا ينفى وجود الملائكة وقد أخبرنا الصادق المعصوم بوجودهم ، وجعل الإيمان بهم قرين الإيمان بالله تعالى وجب أن نؤمن بهم ، فإن الكفر بهم كفر بجميع الشرائع السماوية التى فيها هداية البشر إلى خيرى الدنيا والآخرة .

وإن أولئك الذين ينكرون وجودهم لو رأوا الملائكة يمشون بينهم مطمئنين ، لقالوا إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ، ؛ وأمثال هؤلاء مهما حاولت إقناعهم فلن يزدادوا إلا جحوداً لأنهم لا يطلبون الإقناع والاقتناع ، فإن كانوا لا يؤمنون بالله فكيف تطلب منهم الإيمان بما لا يعرف إلا من الله . وإن كانوا يؤمنون به فكيف يكذبونه ؟ .

ولما كان لا سبيل إلى معرفة الملائكة إلا عن طريق الوحى السماوى ، وجب أن يكون أيماننا بهم على الصورة التى جاء بها القرآن الكريم لا تزيد ولا تنقص . فإن الزيادة عما ورد فتح لباب الخيال الكاذب ، وتهجم على عالم الغيب من غير حجة أو دليل ، والانتقاص عما ورد تكذيب لله ورسوله .

والمتتبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يعلم أن الملائكة مخلوقات عاقلة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » « والذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

والقول بأنهم قوة مجردة ملهمة للخير لا مخلوقات عاقلة ، ومحاولة تأويل الآيات التى وردت فى الملائكة تأويلا يبطل معناها قول يناقض نص الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المطهرة ، فإننا إذا تتبعنا الآيات الكريمة التى ورد عنها ذكر الملائكة

مكتبتنا العربية

المقربين يتبين لنا بوضوح أنهم مخلوقات عاقلة مفكرة خيرة . وهانحن نسوق إليك بعضاً من هذه الآيات : لترى أيمكن تأويلها بأنهم قوى مجردة كقوة الكهرباء والمغناطيسية ، ولعلك تخرج معى بعد سرد هذه الآيات بأن مثل هذا القول إنكار مقنع لوجود الملائكة ، ولا أدرى ما الذى يحمل هؤلاء القوم على ركوب متن الشطط فى التأويل مع أنه لم يقم برهان ولا شبه برهان على استحالة وجودهم ، والتأويل لا يكون إلا إذا كان ظاهر النص قد عورض بدليل أقوى منه . وماذا هم قائلون فى مثل قوله تعالى : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ، وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، فأية قوة هى التى قالت لمريم هذا ، وفى مثل قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السماوات والأرض ، جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة » . وهل القوة المجردة تكون ذات أجنحة ؟ وفى مثل قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون » .

وهل كان هذا الحوار بين الله سبحانه ، وبين قوى مجردة غير عاقلة ، وهل تطمع فى عمران الأرض بدل الإنسان قوى مجردة ؟ ولو ذهبنا نعدد أمثال هذه الآيات لطال المقام . .

وإذا كان القرآن الكريم قد حدثنا عن المادة التى خلق منها الإنس والجن فقال تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبيل من نار السموم » ، فإنه لم يحدثنا عن المادة التى خلق منها الملائكة فليس لنا أن نقول إنهم خلقوا من نور أو من غيره من العناصر ، وإلا كان ذلك جرأة على عالم الغيب من غير سند أو برهان .

ويشير القرآن الكريم إلى أن الإنسان العادى لا يستطيع رؤيتهم على الصورة التى خلقوا عليها ، وأن فيهم استعداداً لئن يتشكلوا بغير صورهم قال تعالى جوابا على تمنى أولئك الذين طلبوا أن يكون الرسول ملكا : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم مايلبسون » . وقد تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم

مكتبتنا العربية

من طرق مختلفة أن جبريل عليه السلام ، كان يأتيه فى بعض الأحايين بصورة رجل ؛ فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم ويجيبه ، ليعلم الناس الدين على طريقة السؤال والجواب . والله سبحانه يعطى من شاء من خلقه ماشاء من الخصائص والمميزات ، فكم لبعض النباتات والحيوانات من مزايا قد تصل إلى درجة المعجزات .

وليس لنا أن نبحث عن حقيقتهم أو نظام حياتهم، أو كيفية تكاثرهم فإن الله سبحانه قد زجر قوماً قالوا فيهم قولا عن خيال سقيم كاذب ، فوصفوهم بالأنوثة فقال : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناثا ، أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون » وهذا أدب من الله سبحانه لعباده أن لا يقولوا فى الأمور الغيبية بما توحيه إليهم عقولهم ، أو تصوره لهم أخيلتهم، فما كان العقل ليستقل بدرك ما هو مغيب عنه إلا عن طريق الإخبار ممن يقطع بصدقه .

وقد سمى لنا القرآن أسماء بعضهم كجبريل وميكائيل « قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » كما سمى منهم مالكا خازن النيران قال تعالى : « ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ، قال إنكم ماكثون » . وحدثنا كذلك إن للموت ملكا : « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » وإن منهم كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون ، كما أن منهم حملة عرشه « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا » .

كما حدثنا أن منهم خزنة للجنة وآخرين للنار « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة » « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »

وبعد فإذا كان الخير وسطا بين شرين ، فإن المسلم الحق لا يجوز له أن ينكر وجود الملائكة إنكاراً صريحا أو مقنعاً ؛ كما لا يجوز له أن يخلع عليهم من الصفات مالم ينزل به الله سلطانا ، بل يقف عند حد ما ورد ويقول كما قال المؤمنون الصادقون : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

مكتبتنا العربية

الصنع البديعي في مدرسة السكاكي

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد موسى
المدرس بكلية اللغة العربية

حكومة الخطيب على البديع :

وزّع أبو يعقوب السكاكي البلاغة على علمين اثنين : المعاني والبيان ، وجعل البديع — وإن لم يسمّه بذلك الاسم — متضافراً مع مباحث العلمين في الوصول بالكلام إلى أعلى مراتب التحسين ، وكان صنيعه هذا في بادىء النظر مؤذنا باستقلال مباحث البديع عن علمي البلاغة : فكان بذلك المعمّد الأول لمن يؤلفون في البلاغة من بعده ، أن يجعلوا البديع فناً مستقلا عن أخويه ، وإن كان لم يعمد إلى ذلك ، ولا إليه قصد كما أسلفنا ذلك في تبيان منهجه ؛ وقد سَنَّ للناس سنة الاختصار ، حيث اختصر القسم الثالث من كتابه في كتاب دعاه التبيان ، كما لفت أذهانهم إلى وضع الحواشي والتقريرات ، بعزمه على إملاء حاشية تكشف عن قصده بعد الفراغ من تأليف كتابه ؛ ولا إخالك قد نسيت ما جره على البلاغة من عقم وتعقيد بأخضاعها لقوانين المنطق والفلسفة ، وما أصاب البديع على يديه من وضعه في ذيل العلمين الآخرين وضعا سهّل على من خلفوه على كتابه أن يجعلوه ذنبا لهذين العلمين ، ومن جعله مساوياً للمفردات اللغوية في الاقتصار على التعريف ، وسوق مثال واحد لا يصور ذلك اللون ، ولا يكشف عن جماله ولا يركزه في الأذهان ، فهما أستعين على مصطلحات البديع بالرد والتكرار فآلها إلى التفلت والزوال ؛ ذلك إلماع خاطف إلى موقف السكاكي من البديع والبلاغة ، فهو وإن كان برزخا بين المتقدمين والمتأخرين في العرض والتصوير ، لا يستطيع باحث أن يعفيه من تحمّل التبعة في عقم البلاغة وجمودها ، وإلجائها إلى مضايق التـــدهور والانحطاط ، وجعلها ضحيّة المختصرات والحواشي والتقريرات .

مكتبتنا العربية

وقد أحصى صاحب كشف الظنون [١] عددا وافرا ممن توفروا على القسم الثالث من المفتاح بالاختصار ، أو النظم ، أو الشرح ، إلا أن يمن الطالع ، وسعادة الحظ ، وتمام التوفيق ، لم تكتتب لغير متن التلخيص الذى صنعه قاضى قضاة الأقليمين [٢] : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ، الذى ينتهى نسبه إلى أبى دلف العجلى القزوينى ، ثم الدمشقى الشافعى ، والذى شهر بالخطيب القزوينى ، وكان مولده بالموصل سنة ٦٦٦ هـ وتفقه على أبيه ، وأخذ الأصلين [٣] عن الأربلى ، وسكن الروم مع أبيه واشتغل فى أنواع العلوم ، وسمع من أبى العباس الفاروقى وغيره ، وولى الخطابة بدمشق ، ثم القضاء بها ، ثم بالديار المصرية ، ثم نقل إلى قضاء الشام ، وبقى كذلك حتى قضى سنة ٧٣٩ هـ [٤] .

وقد نال تلخيص المفتاح للقزوينى قسطا وافرا من الشهرة والرواج ، حتى غطى على أصله منذ ظهوره إلى يومنا هذا ، وقد استبد بجهود يتضاءل أمامها ما بذل فى القسم الثالث من المفتاح ، قال صاحب كشف الظنون [٥] ، ولما كان هذا المتن مما يتلقى بحسن التلقى والقبول ، أقبل عليه معشر الأفاضل والفحول ، وأكب على درسه وحفظه أولو المعقول والمنقول ؛ فصار كأصله محط رحال تحريرات الرجال ، ومهبط أنوار الأفكار ، ومزدحم آراء البال ، فكتبوا له شروحا . . ، ثم مضى يعدد هذه الشروح ، فساق جملة وافرة منها ، تنبىء عن عناية فائقة ، واهتمام معدوم النظير ، ولست آتيا بجديد إذا سردتها هنا ، وما عليها من حواش وتقريرات ، فهى - والحمد لله - متعالمة مشهورة ، حالفت جمهور قراء هذا البحث منذ سلكوا طريق التعليم إلى يومنا هذا .

وقد كان الباعث على تأليف هذا المختصر ، ما يحدثنا به الخطيب يقول : لما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرا ، وأدقها سرا ؛ إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها ، وتكشف عن وجوه الإعجاز فى نظم القرآن أستارها ،

---

(١) حـ ٢ ص ٤٨٠ (٢) الشام ومصر (٣) أصول الفقه والتوحيد

(٤) وله ترجمة وافية قارة فى موطنها من كتاب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

(٥) حـ ١ ص ٣٢٣ .

مكتبتنا العربية

وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذى صنفه الفاضل العلامة : أبو يعقوب يوسف السكاكى ، أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعاً ، لكونه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريرا ، وأكثرها للأصول جمعا ، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلا للاختصار ، ومفتقرا إلى الإيضاح والتجريد ، ألفت مختصرا يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ، ولم آل جهدا فى تحقيقه وتهذيبه ، ورتبته ترتيباً أقرب تناولا من ترتيبه ، ولم أبالغ فى اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه ، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه ، وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت فى بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم أظفر فى كلام أحد بالتصريح بها ، ولا الإشارة إليها ، وسميته « تلخيص المفتاح » .

وإن المتصفح لهذا الكتيب والقسم الثالث من المفتاح ، ليدرك مبلغ التساهل فى تسميته تلخيص المفتاح ، وقد أحس ذلك القزوينى نفسه فنبه عليه كما رأيت فى مقدمته ، ولو أن مثل هذا البحث يتسع لغير هذا المسلك الذى وضعناه لأنفسنا ؛ لرجعنا كل مسألة من مسائله إلى منبعها الذى منه نبعت ، ولكن حسبنا أن نقول : إن الخطيب القزوينى قد تأثر فوق تأثره بالقسم الثالث من المفتاح بأبرز الكتب التى سبقته ، وأخصها سر الفصاحة للخفاجى ؛ ولا سيما فى المقدمة ، وأسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز للجرجانى ، والمثل السائر لابن الأثير ، والعمدة لابن رشيق ، والصناعتين لأبى هلال العسكرى ، والبديع لابن أبى الأصبع ، وبغير أولئك مما أعان القزوينى على إبراز هذا الكتاب ، الذى جمع فيه مسائل البلاغة نقلا أو استنباطا ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبوبها أدق تبويب ، ولولا متابعته السكاكى بأخضاعه البلاغة للحد والتقنين ، وخلطها بالمنطق والفلسفة ؛ وإحالها من الشواهد الأدبية الغزيرة التى تعين على تربية السلائق ، وتكوين الملكات لعاد صنيعه هذا على البلاغة بأحمد النتائج ، وأطيب الثمرات ، ولكن التقليد غلب عليه ، فكان ثانى اثنين أسهما بأوفر قسط فى تجريد البلاغة من حلى الأدب والبيان ، وسلكاها فى سلك العلوم النظرية التى لا تربى ذوقا ولا تعود بيانا .

مكتبتنا العربية

أما محتويات هذا المختصر فحسبنا أن نقول : إنه رتبه على مقدمة ، وثلاثة فنون ، وخاتمة ، فالمقدمة فى شرح معنى الفصاحة والبلاغة ، والفن الأول فى علم المعانى ، والثانى فى علم البيان ، والثالث فى علم البديع ، والخاتمة فى السرقات الشعرية وما يتصل بها .

ونظرة إلى هذا الصنيع تقفنا على مبلغ تجديد الخطيب بالنسبة إلى البديع ، فقد جعله علما مستقلا عن أخويه اللذين طالما خالطهما جميعا ، أو جمهور مسائلهما منذ عهد التأليف فيه إلى عصر الخطيب ، فكان بهذا العمل أول الجانين على أصباغ البديع ممن ألفوا فى البلاغة بوضعها هذا الوضع الشائن البغيض ، وانظر إلى تعريف علم البديع بقوله : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، كيف قضى على ألوانه بأن تكون حلى مزينة ، تكسو الكلام بهجة بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، وأنها عرضية ليست بالذاتية ، ولعل الخطيب نظر نظرة غير ممعنة إلى صنيع السكاكى ، فخدع به وحكم عليها هذا الحكم الجائر الذى قلل من شأنها ، وهون من خطرها فى نظر من لفوا لف الخطيب تأليفاً وتعليما ؛ ولم يلتفت إلى مغزى كلمة السكاكى فى العلاقة بين هذه الألوان ، وبين ما تقدمها من مسائل علمى المعانى والبيان .

وقد ألمعنا إلى عذر السكاكى فى هذا الصنيع فى كلمة سابقة : ونمسك الآن عن تهجين خطّة القزوينى التى قضت على هذه الألوان ، بجعلها أذنابا وذيولا للبلاغة ، وهى منها فى الصميم ، بل فى أكرم موضع ، وأعز مكان ، إلى موطنه من هذا البحث ، ثم نمضى فى الكشف عن الجديد فى البديع على يد الخطيب فنقول : إن السكاكى قسم ألوان البديع إلى قسمين : معنوى ، ولفظى ، وساق من المعنوى عشرين لونا من بينها : الاعتراض والالتفات ، والإيجاز ، والإطناب ، وجعل الطباق والمقابلة نوعين يستقل كل واحد منهما عن صاحبه ، فتابعه الخطيب فى تقسيم المحسنات إلى القسمين المذكورين ، سوى أنه عدّ من المعنوى ثلاثين لونا فى التلخيص ، وواحدا وثلاثين فى الإيضاح ليس من بينها : الالتفات

مكتبتنا العربية

والاعتراض ، والإيجاز . والإطناب ، واكتفى بعدّها ضمن مباحث علم المعانى ، وجعل الطباق مشتملا على المقابلة ، متأثراً بطريقة ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة حيث اختار إطلاق الطباق على جميع أنواعه : من السلب والإيجاب ، والمقابلة ، وغيرهما ، كما أنه ضم الأشباه بعضها إلى بعض ، وحدّد الألوان ، وقسمها ، تحديدا وتقسيما أدنى إلى الضبط العلمى مما صنع السكاكى ، مع الإشارة إلى عدة الأسماء التى تكون للنوع الواحد ، وقد أربى على السكاكى فى المحسنات المعنوية : بالإرصاد ، والعكس ، والرجوع ، والاستخدام ، والتجديد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، والتفريع وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والإدماج ، والهزل الذى يراد به الجد ، والقول بالموجب ، والاطراد ، والاستطراد ؛ وكذلك فعل فى المحسنات اللفظية فزاد : الموازنة ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم ؛ وهو فى كل أولئك مسبوق ، وليس بالمبتدع المبتكر كما يرى من سابر هذا البحث من مطلعه إلى الآن ؛ غير أن الذى يهمنا التنبيه عليه هو : أن نظرة إلى ما صنعه الخطيب فى تلخيصه بالنسبة للبديع تقفنا على مبلغ تأثره بغير القسم الثالث من المفتاح ، وترشدنا إلى حسن استخدامه لجمهور الكتب التى سبقته مع إحكام الترتيب ، ودقة التبويب ، وضبط الأقسام ، ومهارة الاستنباط ؛ وقد أحسّ الخطيب بالغموض يشيع فى عبارات تلخيصه ، فعمد إلى شرحه فى كتاب دعاه « الإيضاح » أوضح فيه غامضه ، وشرح مبهمه ، وأربى عليه بكثرة الأمثلة والشواهد ، وبعث فى كثير من أنحائه الحياة والقوة بما نقله عن عبدالقاهر ، وأودعه ثورته على السكاكى ، واعتراضه عليه فى كثير مما يكتب ، ولم يزد فيه شيئا من ألوان البديع على ماذكره فى التلخيص سوى الاستطراد ، وقد استحوذ هذان الكتابان على حظ وافر من الشهرة والرواج ، فلقيا كل أعجاب ملك على الناس حواسهم ، وسيطر على مشاعرهم واستنفد منهم موفور جهودهم ، ولا يزالان موضع القداسة والتقدير إلى يومنا هذا .

أما أثر التأليف فى حياة البديع الأدبية ، وكيف انتهت به هذه الحياة إلى البديعيات فذلك ما سنعالجه فى كلمة تأتى إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

الفضيلة عند أرسطو

لحضرة الأستاذ سعيد زايد

تتلمذ أرسطو على أفلاطون فى الأكاديمية حقبة من الزمن ، خرج بعدها وفى جعبته منهج منظم للتفكير فى مجالى الكون ، كان من نتيجة استخدامه مذهب فلسفى متماسك الأطراف متشعب النواحى متسق الجوانب ، فهذا رأى فى الطبيعة يفسر لنا ما غمض من أسرارها ، وهذا وضع لعلم المنطق ينظم ما تواضع عليه الناس فى نقاشهم وحججهم ، ويصوغه فى قضايا مبوبة وفصول منمقة يبدو للناس أنه اختراع ، وما هو فى الحقيقة إلا تأمل نفذ إلى الصميم ، واستنباط مما يلازم العلماء والعامة على السواء فى خطابهم وجدالهم ، إلى غير ذلك من الآراء التى يطول شرحها وتخرجنا عن الموضوع الذى نحن بصدده .

ولئن كان « المعلم الأول » كاد يتملكه اليأس ـ شأن كثير من العلماء الذى يكتبون بعمق ـ من عدم إقبال أهل زمانه على ما يكتب ، إلا أن الناحية الإنسانية التى تبدت فى كوامن نفسه ، دفعته إلى أن يعالج علما يهدف به إلى خير الذى يعيش فيه ، والمجتمع الإنسانى بوجه عام إن لم يتحقق خيره فى زمانه ، فلا بد أن الأجيال القادمة ستنتفع به ، ذلك هو علم الأخلاق .

ويطول بنا المقام إذا حاولنا أن نعرض لعلم أرسطو الأخلاق وأسبابه ونتائجه ، ولكننا سنكتفى بناحية واحدة منه هى كلامه عن الفضيلة ، وحتى هذه سنقصر كلامنا على الجانب العملى منها ، مشيدين بوجه خاص بفضيلة أطال فيها القول ألا وهى فضيلة العدالة .

يشترط « المعلم الأول » لفهم الفضيلة ، أن يدرك المرء ما هى السعادة ، وهذه لا تدرك إلا بدراسة النفس دراسة تحليلية ومعرفة نوازعها ، والنفس فى رأيه ، تتكون من جزءين متميزين ، بصرف النظر عن الملكات الأخرى ! الجزء الأول العقل ، والثانى هو الذى نطيع به العقل ، وبالتالى تصبح الفضائل قسمين : القسم الأول الفضائل العقلية كالتبصر مثلا ، والثانى الفضائل الأخلاقية كالشجاعة .

مكتبتنا العربية

والتبصر وإن بدا أنه هو والعقل شيء واحد ، إلا أنه لا يزيد على كونه جهة من جهاته ، أما الشجاعة فلا يمكن أن تقوم بذاتها وهي لا تصبح كذلك بدون العقل الذي يهذبها ويهديها ، وإلا تجاوزت الطور وضلت وأصبحت تهورا ، ومن هذا نرى أن المعلم الأول سار على هدى أستاذه أفلاطون ، حين قرر أن في الإنسان ، إلى جانب القوة الشهوية أو الغضبية قوة عاقلة ، هي التي توجه تصرفاته وتقربها نحو الكمال ، ولكن أرسطو لم يتعمق تعمقا كافيا في تقسيمه للفضائل إلى نوعين ، وبدا وكأنه ضحى بنظريته في الفضائل العقلية لنظريته في الفضائل الخلقية ، مع اعترافنا بأن تقسيمه هذا جدير بكل تقدير ؛ والرد على بعض من نقدوه بقولهم : إن خواص العقل هي بذاتها خواص القلب ولا فرق بينهما ؛ مع وضوح التمييز بينهما في مجالي العلم والحياة .

والتعليم والتجربة ، في رأي أرسطو ، واجبان لنمو الفضائل العقلية ، أما نمو الفضائل الأخلاقية فبالعادة التي هي طبيعة ثانية على حد تعبيره ، فالفضيلة والرذيلة إذن لا تولدان مع الإنسان ، ولكنهما مكتسبتان ، فالفطرة أو الطبع خير في ذاته ، والمرء يمكنه تنميته ، وبذلك يسير مع الفضيلة أو يتنكب الطريق ، ويكون قد سار وفق الرذيلة ، وهنا يقرر المعلم الأول مبدأ الاختيار ، فالإنسان عنده قادر على تغيير عاداته إلى ما شاء ؛ لأنه ليس خاضعا للقوانين الثابتة ، والتي لا تصدق عنده إلا على المادة ، ولذا كانت التربية عاملا مهما في بناء الفضيلة لأنها توجه إلى طبع الطفل منذ البداية ، وقول أرسطو : إن القوانين الثابتة لا تصدق إلا على المادة ، وإن الإنسان خير بطبعه ، يخالفه في الأولى زعيم علم الاجتماع الحديث العلامة «دوركهيم» الذي يقرر أن الظواهر الاجتماعية تسير وفق قوانين عامة ثابتة لا تقبل التخلف ، وفي الثانية العلامة الإيطالي « لامبروزو » في نظريته الشهيرة في الجريمة التي تقول : إن الشخص يولد ولديه استعداد عام لنوع من الجرائم ، وباستئصال جزء خاص في المخ ، تزول منه الدوافع نحو ارتكابها .

والفعل الفاضل عند المعلم الأول لا بد لتحقيقه من ثلاثة شروط : هي علم الفاعل بما يفعل ، واختياره لفعله دون توقع منفعة ، وتصميمه تصميما جازما على عدم وقوع الفعل على غير ما يقصد ، والشرط الأول نجده بوضوح في فلسفة

مكتبتنا العربية

شيخ فلاسفة الإغريق سقراط وتلميذه أفلاطون ، مما يظهر أنهما اهتما به وجعلاه نصب أعينهما ، وكان الأجدر - ونحن فى ميدان الأخلاق - أن يهتما بالأخيرين إذ أن الفعل هو الأساس .

هذه هى نظرية أرسطو فى الفضيلة بوجه عام ، من المستحسن أن نعرف مدى تغلغل نظرية الإرادة فيها قبل أن نتوسع فى الكلام عن الفضائل . لقد كان أرسطو أول من فصل فى القول فى الحرية ، وجعلها نظرية من النظريات الواجب دراستها ، فقد ميز بين الفعل الإرادى والفعل اللاإرادى ، وجعل شاهده فى هذا وجدان الإنسان ، الذى هو فى رأيه العلة فيما يصدره من الأفعال فى كثير من الأحوال ، وأيضا الذوق العام الذى يمجد بعض الأفعال ويذم بعضها الآخر ، وسنة الشارعين التى تقرر العفو والعقاب لمرتكب الفعل حسبما يتراءى لها من نية حسنة أو سيئة . وهذا التفصيل لنظرية الإرادة ، أتى بعد أن نقد أرسطو نظرية أستاذه أفلاطون ، التى تقول بأن الإثم غير إرادى ، فلم يرهذا الرأى ؛ بل الإنسان عنده حر التصرف لا بد أن يحاسب على أعماله . ومن أسف لم يسر المعلم الأول فى نظريته إلى نهاية الشوط ، ولم يخطر بباله أن هذا الامتياز الذى منحه الإنسان لا بد له من كنه ، وأن حريته فى أفعاله تجر إلى المسئولية بعد الموت أيضا ، فلم يكلف نفسه عناء البحث عن علة الحرية ولا غايتها ، بل وقف عند هذه الظاهرة مما يتسق مع مذهبه فيما وراء الطبيعة .

والفضيلة بعد ، هى ضرب من الوسط بين افراطين ، فالشجاعة مثلا هى اقتحام بعض الأخطار واتقاء البعض الآخر ، لكن تجشم جميع الأخطار بلا تمييز أو ترو يعد تهورا ، كما أن خشية جميع الأخطار كيفما كانت يعد جبنا . ويجب ألا يفهم من الوسط الذى ذكره أرسطو الوسط الحسابى بالمعنى الدقيق ، فإن المعلم الأول لم يقصد البته أن كل فضيلة واقعة على مسافة متساوية من رذيلتين متضادتين . فإنه لو أراد ذلك لما أسعفته اللغة ، ولكنه يقرر أن الضابط الحق للفضيلة هو أنها وسط يعينه العقل .

بقى علينا أن نعرض لإحدى الفضائل التى تناولها أرسطو ، وهو كما قلنا فى صدر المقال يميز بين نوعين من الفضائل ، فضائل نظرية وفضائل عملية ، وسنتكلم هنا عن إحدى الفضائل العملية ، التى أولاها المعلم الأول عنايته وفصل فيها القول ،

مكتبتنا العربية

بعكس جميع الفضائل ، اللهم إلا فضيلة التبصر وهى إحدى الفضائل النظرية ، ولعل السياسة التى عاش فيها ، وخبرها هى التى أوحت إليه بهذا ، فأراد أن يرسم صورة مثلى لما تكون عليه العدالة فى معاملة الفرد والمجتمع .

والعدالة فى رأى أرسطو حد وسط بين الظلم والانظلام ، ولقد ميز تمييزاً واضحاً بين جهتيها ، أى بين العدالة السياسية والعدالة القانونية ، ومهمة الأولى الإشراف على توزيع الحقوق والأموال ، والسعادات بين أفراد المجتمع ؛ ومهمة الثانية تعويض الفرد عما يلحقه من ضرر نتيجة فعل فرد آخر ، وأحسب أن هذا التميز أو هـذا التقسيم هو الذى سارت عليه الأمم فيما بعد ، ويظهر بوضوح فى الدساتير الحديثة . والعدالة السياسية تشمل الأشخاص والأشياء جميعاً ، وهى فى ذاتها مساواة تناسبية . فلأجل أن تتحقق يجب أن تقرر بين الناس بالتساوى ، ولكن هذا التقرير أو هذا التوزيع ، مع ما فيه من ضبط ، لا يتيسر عملياً ، وإن تيسر لا تستقيم معه الأمور ، ولقد كان الأجدر بالمعلم الأول ، أن يكتفى بالقول بتكافؤ الفرص ، ويترك بعد ذلك للملكات والمواهب أن تبرز وتعمل وتفيد ، لكى تستقيم أمور المجتمع . أما أن توزع المناصب على النابهين والخاملين على السواء فما أحسب المجتمع يسير بهذا نحو الكمال .

ولئن كان المعلم الأول قد فاته ذلك الذى نأخذه عليه فإنه قد بلغ أوج عظمته فى كلامه عن العدالة القانونية ، فالكل ـ عنده ـ سواء أمام القانون ، لا فرق بين كبير وصغير ، لأن القانون لا يهدف إلى عقاب الأشخاص ، بل إن هدفه الأول ، القضاء على الجريمة ، ولما كان القانون لا يستطيع أن يحيط بكل الجرائم المتوقعة ، فإن عدالة القاضى وذكاءه تساعدان على الفصل فى القضايا ، أى أنه يجب أن يكون القاضى كفؤاً ، واسع الحيلة ، حاد الذكاء ، وهذا يبرر نقدنا له فيما سبق أن قرره عند الكلام عن العدالة السياسية ، من أنها يجب أن تشمل الأشخاص والأشياء جميعاً . وقول أرسطو إن الهدف هو القضاء على الجريمة ، هو المبدأ الذى سارت عليه المدرسة الاجتماعية الفرنسية والعلامة «دوركهيم» ، فى جميع أبحاثها فى باب الاجتماع القضائى .

وبعد فهذا عرض سريع لنظرية الفضيلة عند أرسطو ، تظهر فيه مقدار أصالة المعلم الأول ، ونظراته الصائبة .

مكتبتنا العربية

الدين والسياسة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم على أبو سعيد

— ٢ —

إنما تحيا الجماعات الإنسانية حياة كريمة مهذبة ، وتستشعر فى أعماقها جلال النظام ، وقدس الأخوة ، وسمو المحبة ، وشدة العطف والحدب ، وتوقير الكبير ، ورحمة الصغير ، واحترام القانون والطاعة لأحكامه ، والامتثال لأوامره حين يبسط الدين سلطانه على النفوس ، ويتغلغل بنوره إلى أغوار القلوب .

وكل قانون لاتسنده رقابة الخالق ، ولا تحيطه الرهبة والخوف من رب العالمين : لا يمكن أن يجنى الناس من ورائه سعادة ، أو يحصلوا على أمن واطمئنان !

والجماعة التى تساس بالدين ، وتحكم فى مشاكلها وأحوالها تشريع أحكم الحاكمين ؛ لا يمكن أن يصيبها الضعف ، أو يدخل إليها الوهن ، أو يستذلها عدو ، أو يستبد بها دخيل . وحين يستعرض المرء مظاهر التشريع ، ويتأمل فيما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من سياسة وأدب ، يرى أن الإسلام وضع الدواء الناجع لكل داء ، والبلسم الشافى لكل جراح ، وعالج كل مشكلة ، يمكن أن تصيب الجماعة بالتصدع ، والانهيار ، فى الأمور التافهة البسيطة لايغفل الإسلام علاجها ، ولا يهمل وضع قوانينها ، ولنستمع إلى الرسول الكريم يقول : « ألا أخبركم بشراركم . ؟ . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من أكل وحده ، ومنع رفده ، وضرب عبده . ألا أخبركم بشر من ذلكم . ؟ من لا يقيل عثرة ، ولا يقيل معذرة ، ولا يغفر ذنبا . ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ من يبغض الناس ويبغضونه » .

وفى الأمور التى يخشى على بناء المجتمع من سطوتها ، وطغيانها يقول الله عزوجل : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ، فهذه دعوة صريحة مؤكدة إلى حماية الجماعة من نهب الأموال ، واستلاب حقوق الناس .

مكتبتنا العربية

ولعلنا ألممنا إلماما عابرا بهذه النواحي في مقالنا الأول ، على أنا نحب هنا أن نؤكد تأكيدا قاطعا أن الإسلام لم يضع هذه النظم ، ولم يشرع تلك الأحكام والقوانين للعبث : إنما شرعها ليأخذ الناس بها ، ويحملهم عليها ، ويجعل راعي المسلمين مسئولا عن تنفيذها ، وسياسة الناس بها .

والمطلع على تاريخ الإسلام ، والمتتبع لسيرة المسلمين منذ أشرق هذا الفجر على الدنيا يجد أن سيرة النبي والخلفاء ، وسيرة السلف الصالح كانت تهدف إلى أخذ المسلمين بهذه السياسة ، وإقامة دعائم حياتهم على أسس متينة من شرائعه الحكيمة وآدابه السامية ، ولقد ظلت دولتهم قوية البنيان متينة الأركان ، لا يتسرب إليها ضعف ، ولا يداخلها وهن ما قامت فيها تعاليم الإسلام ، وسار حكام المسلمين على هدى الدين وتعاليم الشريعة .

فلما انحرفوا عن الجادة ، وتهاونوا في تنفيذ ما أمر الله أن ينفذ ، ولما تراخوا في إقامة الحدود الإسلامية والضرب على أيدي العابثين الآثمين ، ضعف شأنهم ، وتفرقت وحدتهم ، وقلت هيبتهم ، ووهنت عزيمتهم ونال منهم أعداؤهم كل منال . ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما لم تحكم أئمتهم بما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

فليتعرف المسلمون إلى تاريخهم ، وإلى ماضيهم : ليدركوا أن دينهم يحمل في ثناياه أروع الأنظمة ، وأحكم السياسات ، وأجل القوانين لدولة عادلة مهذبة نابضة بالقوة والسمو والعظمة ؛ وإن رغمت أنوف ، وكابر في ذلك جاحدون .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود الجيش في الحروب ، ويشن الغارات على أعدائه ، ويقسم الفيء ، ويوزع الغنائم ويسن للمحاربين من أتباعه وأوليائه أبلغ سنن الحرب ، وأقوم قوانين القتال وأسمى آداب الخصام .

فإذا وضعت الحرب أوزارها ، فرغ إلى أمته يأخذ من غنيهم لفقيرهم ، ويديل من قويهم لضعيفهم ، ويعاقب المقصر على قصوره ، ويثيب المحسن على إحسانه ، ويقيم حدود الله من قارف خطيئة أو لابس جريمة ، أو أقام على عصيان .

أليس ذلك سياسة لهذه الأمة الإسلامية على وفق ما شرع الله من أحكام ، وبمقتضى ما وضع من حدود وآداب ؟

مكتبتنا العربية

أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصر نفسه على العظة والتذكير ، دون أن يأخذ الناس بسياسة الإسلام ، ويحملهم حملا على التزام حدود الله ؟

إن بعض الواهمين المفتونين ، يتعلقون ولأهامهم ببعض ما لم يفهموا من كلام رب العالمين . مثل قوله جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وسلم : « إن عليك إلا البلاغ » ، « إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ، وفاتهم أن أمثال هذه الآيات لارتباط لها بسياسة الأمة ، ولا صلة لها بما كان يأخذ به الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من حملهم على الجادة ، وتسديدهم على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، إنما أراد بها المولى أن يسلى نبيه ورسوله عن إعراض قومه ، وتأبيهم عن الهداية واستكبارهم عن الطاعة : إذ أن ذلك يشق عليه ، ويؤلم نفسه ، ويحزن قلبه : فأنزل عليه المولى أمثال هذه الآيات ؛ ليعلمه أنه ليس عليه هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وأنه وإن بخع نفسه ليس فى طوقه أن يحولهم من كفر عات إلى هداية سمحة ، ومن طغيان أثيم إلى عدل كريم : « وإن كان كبر عليك إعراضهم ؛ فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء ؛ فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين » فلما دخل الناس فى الدين ، وأصبحت للمسلمين جماعة كونت دولة ، رعى محمد صلى الله عليه وسلم هذه الدولة ، وأخذها بأدب الإسلام ، وأمضى فيها شريعته كما أوحى إليه ربه ، وأمره مولاه .

ولما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم راعى هذه الامة ، والمدبر لشئونها ، والمنظم لأمورها ؛ قام بالأمر من بعده خليفته أبو بكر ، ولكنه لم يكد ينهض بالعبء وينوء بالمهمة ؛ حتى وجد أن الشيطان قد نزغ فى العرب نزغاته ، ونفث فيهم سمومه ، فإذا بالبعض منهم يرتد عن الإسلام ، والبعض يمنع الزكاة ، ويضن بالبر على من يستحق البر ، ويبخل بالمعروف على من يستأهل المعروف ، ويشير بعض المشيرين على أبى بكر أن يلزم بيته ، ويعتكف فى مسجده ، وأن يدع الناس فيما هم فيه ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة . ولكن أبا بكر وهو رئيس هذه الأمة ، والمسئول عن سياستها يسخر منهم أبلغ السخرية ، ويقول لهم فى ثبات وقوة إيمان : « أو كلكم رأيه هذا؟ والله لأن آخر من السماء فتخطفنى الطير أحب إلى من أن يكون رأيى هذا !

مكتبتنا العربية

والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لحاربتهم عليه حتى ينصرنى الله أو أهلك دونه ، أليس هذا كلام رجل يؤمن أعمق الإيمان أنه مسئول عن سياسة الأمة ، وأخذ الناس بتعاليم الإسلام ، وحملهم حملا على التزام الحدود والسير على الطريق المرسوم .

وهذا عمر بن الخطاب يقول بملء فيه : « والله لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسأل عنه آل الخطاب » .

فهل يصح هذا القول إلا من رجل يدرك أنه فى مقام الرياسة ، وأنه مسئول عن أمن الناس وراحتهم ، وإقامة العدل ، وإشاعة النظام بينهم .

خبرونى أيها الناعبون الداعون إلى فرقة الأمة ، وتشتيت شملها ، وتمزيق وحدتها ، واختلال صفوفها ماذا تريدون بالسياسة ؟ وإذا تحددت معانى الألفاظ سهل علينا الوصول إلى مقطع الحق ، والاهتداء إلى مفصل الصواب ؟

ألستم تريدون من كلمة السياسة ، أخذ الأمة بأحسن الأنظمة ، وأروع الأساليب فى حكمها وإصلاح نواحى الحياة فيها بما يكفل لها الرخاء والأمن ، ويضمن لها السعادة والراحة والاطمئنان ؟

ألستم تريدون بسياسة الأمة أن تطبق فيها القوانين التى تجعل الفرد عضوا عاملا نافعا فى الجماعة ، يأمن على نفسه وعرضه وماله ، ويجد القوة التى تحميه من عدوان العادين ، وظلم الظالمين ؟

ذلك كله مما أمر به ديننا الحنيف ، ودعت إلينا شريعتنا السمحة .

إن الدين فى كل تعاليمه وجميع أحكامه يهدف إلى تنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، ويضع لذلك أحسن الأسس ، وأروع النظم ، وهو لا يدع ناحية من نواحى الحياة إلا أفاض عليها من بهائه ونوره ما يبدد ظلامها ، وينفض غبارها ، ويقيم العدل فيها مقام الظلم ، والنور مكان الظلام .

وشتان بين نظام يضعه الرحمن ، وأنظمة يلفقها الإنسان !

فليعد الناس إلى نظام رب العالمين ، وشريعة الإنسانية الفاضلة ، والمدنية المهذبة ، وهم لا شك واجدون فيها السعادة الدائمة ، والنعيم المقيم .

مكتبتنا العربية

الإسلام والصين *

لحضرة الأستاذ عمر طلعت زهران

أستاذ فى الآداب

[الصين بلاد عظيمة الاتساع ، تزيد مساحتها قليلا عن ٤ مليون ميلا مربعاً ، وسكانها حوالى ٤٠٠ مليون نسمة ، كانت مسرحا لمدنية من أعظم مدنيات العالم ، كما كانت وحدة ثقافية رفيعة . وتشمل الآن أربعة أقاليم هى : الصين ، منغوليا ، سنكيانج ثم التبت ، وقد تناوبتها فى العصور الاخيرة أمور جسام ، فإن أوربا حاولت أن تفتح أبواب الصين وخزائنها ، فنشبت بينهما حروب ، كانت نتيجتها منح الاجانب امتيازات جائرة بحقوق الوطنيين ، ثم غزتها اليابان ، فكان أن نشبت فيها ثورة انتهى بها حكم أسرة مانشو ، وأعلنت الجمهورية سنة ١٩١٢ . وتطورت الحوادث ؛ حتى كانت الحرب الاخيرة والصين بجانب المنتصرين ، فخرجت منها اليابان ، ولكن دخلها الخطر الشيوعى ، الذى استنسر بها ، فأصبح للشيوعية فيها دولة]

الصين بلاد لها وضعها الخاص ، فى سائر الامور ، وفى الدين خاصة ، فإنا نجد فيها أديانا مختلفة ، ونجد النظم الاخلاقية فيها تتخذ سمة الدين . ومع ذلك فلسنا نستطيع أن نصف الفرد الصينى العادى بالتدين ، على الرغم من أنه قد يمارس طقوس عدة أديان معا . وإن انطبق هذا الوصف على الصينيين بمختلف أديانهم ، فإنا نستثنى من بينهم المسلمين ، وإن كانوا أقل من مسلمى البلدان الاخرى تق

(*) بعض مما فى هذا المقال مأخوذ عن بعض أعداد من مجلة Islamic Review لسنة ١٩٤٩ .

مكتبتنا العربية

وتمسكا بالدين . ومهما يكن من أمر فإنا إن وصفنا أى فئة فى الصين بالتدين ، لا ننصرف الذهن توا إلى مسلميها .

ونجد بجانب الإسلام ، فى الصين أربعة أديان أخرى ، على الأقل : التاوية ، والبوذية ، وعبادة السلف ، والكونفشيوسية ؛ كما عرفت الصين الدين المسيحى ، وان لم ينتشر بها ، رغم أن الكثيرين خارج الصين يظنونه ذائعا هنالك . وقد تأتى هذا الظن الخاطىء من أن المتعلمين فى الصين يسمون أنفسهم بأسماء مسيحية أوربية ، وإن كان لا شأن للاسم عندهم بالدين ، فلست بمستطيع تمييز دين فرد بمعرفة اسمه .

* * *

أنشأ « التاوية » فى القرن السادس ق . م « كنج فو — تزو » من معاصرى كنفشيوس ، ويعرف أيضاً باسم « لاو - تزو » ، ومعنى كلمة « تاو » : طريق ؛ والتاوية تمثل الطبيعة غير المجسمة التى نجدها فى كل مكان ، والتى ترجع إليها جميع الأشياء . وهى طريقة صوفية تنكر وترفض الحاجات الدنيوية ، وقد خرجت التاوية اليوم عن صورتها الأصلية ، فلا يمارسها كما كانت إلا نفر قليل ، ولها معابد تنتشر فى الصين جميعاً ، تمتلىء بتماثيل وصور متباينة ، ويقوم كهنتها بطرد الأشباح والجن ، ويحضرون الأرواح ، يسألونها ألا تصيب الناس بضر . والتاوية مختلطة بأوهام وخرافات بدائية ، مثلها مثل الهندوكية فى الهند ، حافلة مثلها بالأساطير ، متطلعة إلى الخيال أكثر منها إلى الشعور الدينى .

أما البوذية : فقد دخلت الصين منذ نحو عشرين قرنا ، وازدهرت منذ ذلك الحين ، خاصة وأنها لا تتعارض مع التاوية . وللبوذية مدارس لا عداد لها ، على عكس التاوية التى يسودها الغموض . وكلتا الديانتين تعترفان بالأشباح والجن ، ويمارس العوام شعائر الديانتين معا فى معابد كل منهما . وجوهر البوذية هو تنقية الروح بالتغلب على شهوات الجسد ، والتخلى عن لذات الحياة ، والرغبة فى التقرب من الله ، وتعاليمها كثيرة تتضمن الأعمال الطيبة ، والرأفة بالكائنات جميعا . وعلى الرغم من أن الصينى يحب الحيوان والطير ، إلا أنه قد يقسو على أخيه الإنسان ؛ فما زال الرق قائما يلقى أسوأ معاملة ، والبوذية تحرم القتل ،

مكتبتنا العربية

ولكن الصينيين يقتلون الإنسان والحيوان، وقطاع الطرق عندهم، قُدت قلوبهم من حجر صلد، تضرب بقسوتهم ووحشيتهم الأمثال.

وليست الكنفوشوسية في حقيقة الأمر دينا، على الرغم من وجود معابد لها، كان الناس يتعبدون فيها في سالف الأيام، وما هي إلا نظام أخلاق وسلوك إجتماعي، تتميز بصبغتها الفلسفية، وتلتزم حدود التقاليد، والولاء الأبوي، بما فيه من احترام وطاعة للأكبر سنا، وللعرش، وللسلطة. وتتبين طبيعتها من قول كنفشيوس حين سئل عن السماء: «إنا لا نعرف الأرض، فلم نعنى أنفسنا بأمور السماء». ومن ثم فإن كنا لا نعرف شيئاً عن الحياة الدنيا، فليس ثمت ضرورة للبحث في الحياة الآخرة. وتنبني مبادىء كنفشيوس على عبادة السلف أكثر منها على المبادىء الدينية.

وعبادة السلف أقدم صور الأديان في الصين، ترجع إلى العصور البدائية حين كان الناس يظنون أن الآباء هم ما نحو الحياة. وما زال هذا الاعتقاد يسود الصين على شكل ما، فتخصص في كل منزل حجرة توضع فيها صور ومخلفات الموتى، ويتعبد فيها أهل الدار بين وقت ووقت. وكانوا — قديماً — يدفنون زوجات الملوك وخدمهم وحاشيتهم مع الملك المتوفى، ويضعون معهم النبيذ والطعام وغير ذلك؛ بل كانت الأرملة تنتحر مفضلة الموت، على حياتها بعد وفاة الزوج، ولكن كنفشيوس منع هذه العادات، واستبدلت فيما بعد بدفن تماثيل مختلفة مع الميت، وإن لم يمكن منع الزوجات الراغبات في تضحية أنفسهن بعد وفاة أزواجهن، ويحتفل الصينيون بموتاهم احتفالات رائعة بجنازات فخمة، ومدافن جميلة.

ونرى أن المسلمين عامة يشاركون في احترام الموتى، وأبلغ مظاهر هذا الاحترام، هو قراءة فاتحة القرآن على أرواح الموتى، ولكن الأمر بالنسبة للصين جد مختلف، فإن احترام الموتى مبدأ ديني.

وبجانب عبادة السلف، نجد نوعا آخر بدائي من الدين هو عبادة السماء، وهي عبادة مبنية على مبدأ اتحاد السماء بالأرض؛ فقبل مولد المسيح بآلاف من السنين، رأى أحد الأباطرة تنينا يخرج من السماء، يحمل على ظهره نقوشا خاصة،

مكتبتنا العربية

وتكررت رؤية الأباطرة للتنين حتى صارت حقيقة واقعة ، وصار من حق الامبراطور أن يصلى للسماء نيابة عن الشعب بأجمعه ، وهو حق الامبراطور ، ليس لسواه أن يقوم به . وبقيت هذه العبادة قائمة - تمارس فى معبد فى بكين - حتى سنة ١٩١١م ولهذا السبب كان أباطرة الصين يسمون أنفسهم «تين - تزو» : ابن السماء .

* * *

هذه هى الصورة التى وجد الإسلام الصين عليها ، فى القرن السابع الميلادى ، أو الأول الهجرى ، حينما جاء العرب عن طريق البحر إلى كانتون وهانجشو ، وجاءها المسلمون عن طريق إيران وتركستان . والعلاقات التجارية بين العرب والصين ، علاقات قديمة ، ترجع إلى عصور لا يذكرها التاريخ . يقول «ا.م . ويرى» : «كان للعرب مصالح تجارية قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بعصور ، فى الهند وجزر الهند الشرقية والصين : كانوا يحملون الأحجار الكريمة والذهب والفضة والتوابل والحرير ، يحملونها بحرا إلى الخليج الفارسى والاسكندرية ، ومنها تنقل إلى أوروبا» .

وتقول المصادر الصينية الإسلامية : إن الإسلام دخل الصين فى بدء الدعوة الإسلامية ، وإن كان الأكثر احتمالا أنه دخلها بعد ذلك بزمن ، وتروى المصادر أن «تاى تسونج» (٦٢٧-٦٥٠م) استقبل مندوبين عن الفرس والروم ، ينبئانه بهزيمة الدولتين أمام العرب ، وأرسل الامبراطور الصينى حوالى عام ٥٦٠ م مبعوثا عنه إلى الخليفة الإسلامى ، عثمان بن عفان .

وما انقضى قرن ، حتى عرف الصينيون قوة العرب ، فقد أرسل امبراطورهم جيشا من ٢٠٫٠٠٠ رجل هزمه قتيبة بن مسلم ، وما لبث قتيبة حتى أرسل للإمبراطور يسأله الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية . ولولا موت يزيد ابن عبد الملك ، واغتيال قتيبة ، لكانت الصين الآن من البلاد الإسلامية .

كانت نتيجة هذا كله ، أن اعتنق بعض الصينيين الإسلام ، ومن بين هؤلاء قبيلة «هوى تشى» ، فأطلق اسمها على المسلمين : وظل الأمر كذلك حتى عصر المغول . فعرف المسلمون باسم «هوى هوى» ، ويعرفون الآن باسم «تشنج جن» كما يعرف الإسلام باسم «تشنج جن جياو» . ومن ذلك الوقت تفتحت أبواب الصين للإسلام ، فاعتنقه منها عدد جم غفير .

مكتبتنا العربية

وثار أحد الأمراء ضد أمبراطوره الصينى ، فاستغاث هذا بالخليفة العباسى ، فأرسل إليه ، أبو جعفر المنصور ، جيشا من عشرة آلاف جندى تام العدة ، أقر النظام وأعاد الهدوء ، ولم يرجع الجنود إلى خراسان ؛ بل أقاموا بالصين ، وتزوجوا بها فكانوا نواة مسلمى الصين الحاليين .

وجاء الصين مسلمون آخرون عن طريق البحر إلى كانتون ، وهانجشو ونشروا الإسلام فى الجنوب ، كما نشره الاولون فى الشمال والشمال الغربى . ومن بين هؤلاء سعد بن أبى وقاص ، الذى لا يزال مسجده قائما فى كانتون ، وتوالت بعثات المسلمين إلى الصين ، وقد لاقوا فيها معاملة حسنة ، انتشر خبرها بين مسلمى التركستان والبلدان المجاورة ، فنزح منهم عدد كبير الى الصين ، شغلوا وظائف هامة ولقوا من ملوكها عطفاً وجدبا .

ونزح إلى الصين - فى عهد المغول - عدد عظيم من المسلمين ، كان من بينهم كثير من العلماء : فلكيين وأطباء وفقهاء ، وزارها ابن بطوطة وتحدث عنها فى رحلته المعروفة ، وظهر أثر المسلمين فى حياة الصين واضحاً ، فاقتبس الصينيون الفن والنقوش العربية ، وما زالت باقية فى آثارهم .

ولم تستمر الصين أرض سلام للمسلمين دائما ، فقد لقوا فيها عنتاً واضطهادا ، وقاسوا عسفاً وظلما تحت حكم أسرة مانشو ، منذ سنة ١٦٤٤ م .

ولكن المسلمين عموما ، تميزوا بالنشاط ، وشغلوا مناصب هامة عسكرية ومدنية ، وأقاموا شعائر دينهم فى حرية ، وعملوا على الاتصال بالمسلمين فى جميع أنحاء العالم .

ولعل أبهر مظاهر هذا الاتصال ، كان اتصالهم بمصر التى أوفد أزهرها بعثة تعليمية ، واستقبل بعثة منها ، تلقت علومها به ثم رجعت إلى بلادها تنشر الهدى والعرفان .

وأجمل ثمرات هذا الاتصال ، كانت المكتبة التى أهداها المغفور له الملك فؤاد إلى الصين ، وهى باقية تحمل اسمه فى بكين يؤمها طلاب العلم ، فيذكرون مليكنا الراحل ويذكرون أرض النيل .

مكتبتنا العربية

السوفسطائيون في نظر العرب

نقد جملة جائرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاهين

كما تال أستاذي الدكتور « غلاب » مذهب المتكلمين في المفاهيم الذهنية ، وفي الصفات الإلهية بالنقد الجائر والمناقشة الفاسية على النحو الذي عرضناه ، ثم عارضناه في مقالنا السابق ، فقد تناول كذلك رأي العرب في السوفسطائية بالطريقة نفسها ، فخطأهم في إطلاق السفسطة بمعنى المنطق الفاسد القضايا ، الباطل الجزئيات . ورماهم بالتخبط لاعتبارهم أتباع بروتاجوراس ، وأصحاب جورجياس : مدرستين منفصلتين أو مذهبين مختلفين ، وغلطهم في عدهم ، اللا أدرية ، أتباع بيرون من السوفسطائية ، وإليك بعض ما قاله في ذلك ص ١٥٢ ج أول من كتابه الفلسفة الأغريقية . « تحولت كلمة « سوفسم » إلى « سوفيستيك » ، وأصبحت مرادفة لكلمتي التضليل والتهريج تمام المرادفة ، وما زالت كذلك حتى ترجمت الفلسفة الأغريقية إلى اللغة العربية ، فلم يلحظ تراجمة العرب المعنى القديم للكلمة فأصبحت السفسطة عندهم : عبارة عن المنطق الفاسد القضايا الباطل الجزئيات ، وهذا حق من بعض الوجوه ، ولكنهم تخبطوا في تقسيم رجال هذه المدرسة تخبطاً لافتا للنظر : فزعموا أنها تنقسم إلى ثلاث فرق : العندية والعنادية واللاأدرية . فالعندية ترى أن حقائق الأشياء تابعة لعقائد المؤمنين بها ؛ لأنهم هم أقيسة الحقائق . والعنادية تجزم بأن لا حقائق في الكون لا في ذاتها ولا بالقياس إلى المؤمن بها . وأما اللا أدرية فهي التي تتوقف عن الحكم في كل شيء فهي لا تجزم بوجود ولا بعدم .

ثم علل الدكتور هذا الخطأ من العرب فقال : وهذا خطأ أوقعهم فيه اختلاف لفظي جاء في جملتين شهيرتين ، لزعيمي هذه المدرسة ، بروتاجوراس وجورجياس حيث قال الأول : كل شيء حق . فرد عليه الثاني قائلا : لا شيء بحق .

مكتبتنا العربية

وهذان التعبيران ، وإن ظهرا مختلفين إلا أنهما متفقان تمام الاتفاق ، لأن جملة بروتاجوراس « كل شيء حق » أى فى نظر من يعتقده ، ومعنى جملة جورجياس « لاشيء بحق » أى فى ذاته ، وكل منهما يؤمن تمام الإيمان بمذهب صاحبه ، ومن ظن من فلاسفة العرب ومن نهجوا منهجهم من المحدثين ، أنهما مذهبان مختلفان فهو واهم . أما ما يسميه العرب بفرقة اللا أدريه فى هذه المدرسة ، فهو خلط منهم . هل السبب فيه هو التباس إنكار الحكم العام الذى قال به السوفسطائيون بالتوقف عن أى حكم كان ، وهو الذى قالت به المدرسة اللا أدريه التى ظهرت بعد عصر أرسطو » . انتهى كلام الدكتور بحروفه ، وقبل أن نبدى رأينا فى هاته الحملة الشعواء على العرب ، نحب أن نذكر للدكتور غلاب أنه فى الوقت الذى كنا نستمع إليه فيه يقرر هذا عن العرب ، كنا نختلف إلى زميل له من أساتذة الفلسفة بكلية أصول الدين ، فنتلقى عنه فى هذه المسألة عكس ما ذهب إليه أما هذا الزميل فهو صاحب الفضيلة الدكتور « محمد يوسف موسى » وقد تعرض لهذه المسألة فى كتابه « تاريخ الأخلاق » عند الحديث عن الأخلاق فى نظر السوفسطائية ، فقال : وهؤلاء الناس « السوفسطائيون » لنابهم إلف لكثرة ما يرد من ذكرهم فى كتب علم الكلام ؛ لذلك نرى من الخير أن نبسط الحديث قليلا فى بيان مذهبهم وطوائفهم ، وبعد أن ساق الدكتور نصين أحدهما للطوسى ، وثانيهما للمستشرق « سانتلانا » الحجة فى الفلسفة الإغريقية ، وعلاقتها بالمذاهب الكلامية الإسلامية كما يقول .

قال فى ص ٢٤ من كتابه « تاريخ الأخلاق » ما نصه : ويرى بعض المعاصرين أن من الخطأ التفرقة بين هذين المذهبين بتسمية أحدهما بالعندية ، والآخر بالعنادية ؛ لأن ممثليهما على ما يرى وهما بروتاغوراس وغورغياس . كل منهما يؤمن تمام الإيمان برأى صاحبه ، ونعتقد أن هذا بعيد عن الصواب ، فإن بروتاغوراس قال فى كتابه « الحقيقة » : والإنسان مقياس الأشياء جميعا هو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد ، وإن أفلاطون شرح هذه القولة فى محاورته « تيتياس » بأن الأشياء هى بالنسبة لى على ما تبدو لى وهى بالنسبة لك على ما تبدو لك ، وأنت إنسان وأنا إنسان ، فلا شك بعد هذا فى صحة تسمية

مكتبتنا العربية

مذهبه بالعندية ما دام الحكم على الأشياء مرجعه إلى ما يظهر عند كل إنسان ، من صفاتها وخواصها وأهوالها ، كذلك زميله « غورغياس » وضع كتابا فى أللا وجود لخص فيه آراءه فى هذه القضايا الثلاث : لا يوجد شيء . وإذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه . وأخيرا إذا فرضنا أن إنسانا أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس : وإمعان النظر فى هذه القضايا يجعل المرء مطمئنا إلى أن المتكلمين أصابوا المحز فى تسمية مذهبه بالعنادية اهـ .

والآن يظهر الصواب فى جانب العرب إذا اعتبروا العندية والعنادية مذهبين منفصلين بشهادة « سانتلانا » الذى تابعه الدكتور غلاب فى ترجيح مذهب أفلاطون فى الكليات على مذهب أرسطو ، وإذا فلا عبرة بهذا التوفيق الذى حاول به الدكتور غلاب محو الفارق بين كلمتى « بروتاجوراس » و« وجورجياس » فإن التأويل اللفظى لا يصح فى منطق العلم دليلا ولا يغنى فتيلا . بقى على العرب أنهم عدوا أصحاب « بيرون » اللا أدرية فريقا من السوفسطائية وهو ما أنكره منهم « سانتلانا » ووافقه الأستاذان يوسف موسى ، وغلاب : ورماهم الأخير فى هذا بالخلط والتباس الحق ، وعندى أن الحق فى ذلك مع العرب أيضا ، وباطل ما فهمه أولئك النقاد من النصوص العربية التى توهموا منها ، أن العرب يجعلون أصحاب « بيرون » فريقا من سوفسطائية اليونان فى القرن الخامس بمعنى أنهم عاصروهم ، وشاركوهم فى الزمان والمكان ، وهو غير لازم لتلك النصوص العربية .

وإنما يعتبر العرب أصحاب بيرون من السوفسطائية ، بمعنى أنهم يشاركونهم فى منهج التضليل والمكابرة فى المناظرة ، وإذ قد عرف الدكتور غلاب السوفسطائية فى اصطلاح العرب بأنها ترادف المنطق الفاسد القضايا الباطل الجزئيات ، ونقل الدكتور موسى عن الطوسى أن كل غالط فى مذهبه سوفسطائى ، فإنا نسائل الأستاذين . هل هذا التعريف كما يصدق على أتباع بروتاجوراس وجورجياس ونحوهما من السوفسطائية فى القرن الخامس ق م ؛ كذلك يصدق على أصحاب بيرون أم إنه لا ينطبق فى معجم الفلسفة إلا على الأولين فحسب ؟ فإن اختارا الأول . قلنا وهذا هو السبب الذى سوغ للعرب عد اللا أدرية من السوفسطائية ، وبطل ما ذهب إليه الدكتور غلاب من أنه قد التبس عليهم إنكار الحكم العام بالتوقف

مكتبتنا العربية

عن الحكم . وكيف ننسب إليهم هذا الإلتباس فى فهم تلك المذاهب ، بعد أن حددوها لنا بهذه التعريفات الدقيقة التى وضحت ماهياتها وميزتها بعضها عن بعض ؟ وإن اختارا الثانى فلا نسلم لهما ، لأن التشابه بين البيرونية وبين العندية والعنادية تام ، فكلها قائمة على الشك فى البديهيات ومكابرة الحقائق الثابتة والمغالطة فى الجدل والإقناع ، والدكتور غلاب قد ذهب فى كتابه الفلسفة الشرقية إلى أن هذا اللون من التفكير المغالط غير خاص باليونان ، فكيف يجعله هنا خاصاً بأتباع جورجياس وبروتاجوراس فقط ؟ وهو فى محاضرته عن البيرونية يعترف بالتقارب بينها وبين العندية ، ومن يمعن النظر فيما قاله فى شرح بعض المأثور عن بيرون يجد توافقا تاما بين البيرونية والعندية . . .

ولو سلمنا جدلا أن اسم السوفسطائية لا ينطق فى لسان الفلسفة إلا على العندية والعنادية لاغير . لكان الدكتور غلاب نفسه قد تورط فيما أنكره على العرب : حيث أطلق هذا الإسم والسوفسطائية ، على إحدى مدارس الفلسفة الهندية التى ناهضت البرهمانية فى ص ١١٢ من كتابه الفلسفة الشرقية ، مستنداً إلى مثل الإعتبارات التى من أجلها جعل العرب اللاأدرية فريقا من السوفسطائية الإغريقية ، وما زالت السفسطة تظهر فى عالم الفلسفة من حين إلى حين ، حتى فى الفلسفة العصرية فقد انبعثت السفسطة على يد ، داوود هيوم ، وأصحاب مذهب الذرائع ، ويخطىء من اختصها بالقرن الخامس ق م أو يحصرها فى الفكر الاغريق وحده .

من حكم الأحنف

الأحنف بن قيس سيد بنى حنيفة الذى قيل فيه : إذا غضب الأحنف غضب له مائة ألف سيف ، له حكم قيمة منها قوله :

من لم يصبر على كلمة ، سمع كلمات . وقيل له من السيد ؟ فقال : هو الذى إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .

ومن أقواله : من تسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

ومن أقواله أيضا : الكامل من عدت هفواته .

مكتبتنا العربية

أصداء الذكرى

فى محراب إقبال

لفضيلة الأستاذ الشيخ كامل محمد عجلان
المدرس بالأزهر

فى كل عام تحتفل الباكستان بذكرى وفاة شاعرها « محمد إقبال » . وعلينا أن نشارك إخواننا فى الذكريات الخالدة .

ولهذا أبعث إلى الروح الطيب ، بتلك التحية ، تذكرة للشرق ، وتخليداً لذكرى شاعر مسلم ، يعد فخراً للعبقرية .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فى محراب إقبال بين رحاب الخلد ، أقف خاشعا ، يحدونى التشوف ، وتهزنى التأملات .

فى محراب إقبال ، أسبح وأسبّح بأناشيد أرسلها غريد الشرق وصداح الإسلام ، فسرت نوراً يستضاء به فى دياجى الشجون .

فى محراب إقبال ، يكاد سنا الاشراق يخطف بصرى ، فأجد لروحى ملاذاً عند هادى الحيارى ، ومواسى المكلومين ، ومسعد المؤملين .

فى محراب إقبال ، أجد على النور هدى تؤنسنى تلك المثل العليا ، التى نسجت بردتها دعوة الإسلام ، لترفع القيم الإنسانية ، وتقضى على العبودية ، وتأتى على عروش الاستعمار ، وتجتث من النفوس جذور الطمع الآثم ، وتطهر الروح البشرية من أوضار الذلة ، ومسوح الضعف ، وغلائل الأوهام .

مكتبتنا العربية

فى محراب إقبال تأخذنى نشوة سكرها مشتف من دين الفطرة ، وكأسها فى قرارتها عدالة السماء ، وحبابها هدى النبوة ، ونداماها أصفياء الرسالة المحمدية ، وشميمها هبات من روائح الجنة ، عرفاها بريا التنزيل .

فى محراب إقبال تقدح الشرارات التى تبدلع مارا تأكل العصف الخامد ، أو ترسل نورا يضيء الشرق وما حوله ... ولقد مزج الأشراق بين الموجتين ، ووصل ما بين المحيطين .

فى محراب إقبال هتاف المعالم الإسلامية ، وبث المعزة للوطن الإسلامى ، وتوحيد الكلمة بين الموحدين لله تحت راية القرآن .

فى محراب إقبال تدفقت جداول الأدب لا تشاب بزيف من الضعة ، ولا تترقرق فيها عبرات اليأس والخمول ، ولا ترنق بكدر من الملق والرياء .

للعاشق فى جداوله سلوة وللحائر على شطآنها اهتداء ، وللمتأمل فى موجاتها أمان ، وكل من اغترف منها لا يمسه نصب الشك ولا ظمأ الإلحاد ولا دوار التردد ، ولا غول التميع .

فى محراب إقبال مذكيات الشعور ومرهفات الأحاسيس وموقظات الأمم وباعثات الهمم ، وماأدراك ماقارعات الشاعر وقارعات المجرب ، ومقنعات الخطيب ، ومحكمات الحكيم ، ولمعات الفيلسوف ، وماينطق إلا عن أمل الشرق ووحى الإسلام ، عما علمه ذو القوة المتين ، وتعالى الله ملهم الإنسان وواهبه عبقرية التعمق والخلق والإمعان .

فى محراب إقبال وعلى مائدته ما تشتهى من ألوان الخير ، وما تتوق اليه من طرائف فيها للعقول متاع ، وللنفوس غذاء ، وللأرواح شفاء ، تسامى فن لم يبق فى زاده القلمى إلا الحب والإخاء والسلام والوفاء ، ولم ينشد من الحياة والأحياء إلا أن تحسم الشرور ، وتنحى الآثام حتى يخلو وجه الفضيلة وضاحا للانسان .

على مائدة إقبال يمتاز الخبيث من الطيب ، ويسفر ضوء الحق كأنه فلق الصبح ، فلا تنساب الأفاعى القاتلات من زيف الحضارة وبهرجها الكاذب الخداع .

مكتبتنا العربية

فى محراب إقبال تغنى النفس بما وسعها أن تغنى من شبع وري ، فتستعصم على الآراء الهدامة والنزعات المعوجة ، تلك التى تمحو آية الشرق فى اجتهاده الموروثة ، وتقاليده التى أقامت عمود التاريخ ، ووجهت ركب الإنسانية فى طريق سوى ، فشاقت ظلا ، وراقت ماء ، وطابت جنى .

* * *

على مائدة إقبال تؤمن النفس بأنها ينبوع الحياة ، وتطمئن بأن الفلاح لمن زكاها ، والخسارة لمن دساها ، فتكبح جماح فجورها ، وتفسح السبيل لتقواها .

* * *

يا شاعر الشرق الإسلامى ! . سلام عليك فى الخالدين وتحيات اليك مع الأبرار الطاهرين .

ويا أيها الشرق : هذه مائدة إقبال فاتخذ منها زاد الأجيال وعتاد الآمال ، واحفظ لشاعرك ذكراه فى الخالدين ، وسلام عليه فى عليين ، ونعم أجر العاملين النابغين .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

آداب الاكابر

سار يوما عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح أمير المؤمنين العباسى بظهر مدينة الأنبار ، وهو ينظر إلى بناء قد بناه أبو العباس ، ويدور به ، فأنشد عبد الله :

ألم ترجو سنا لما تبنى بناه نفعه لبنى بقيلة
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة

وكان أبو العباس له مكرما ، ولحقه معظما ، فتبسم مغضباً ، وقال : لو علمنا لاشترطنا حق المسايرة . فقال عبد الله : هذه من بوادر الخواطر ، وإغفال المسائح والله ما قلتها عن روية ، ولا عارضنى فيها ذكر ، وأنت أجل من أقال ، وأولى من صفح . فقال له العباس : صدقت ، فخذ فى غير هذا .

مكتبتنا العربية

فى عالم المؤلفات الجديدة

أحسن القصص :

لقد وفق الأستاذ الكبير على بك فكرى إلى تقريب ما كان بعيدا عن الناس ومقصورا على المختصين منهم ، من البحوث الدينية ، والمسائل الشرعية ، فجمع ما يهم الجمهور القارىء ، من تلك البحوث والمسائل ، وأحسن تبويبها وترتيبها ، من الموضوعات التى تهمهم ، ويكثر تساؤلهم عنها ، ووضعها على الترتيب والتبويب الذى ألفه متبعوهم ، فكان منه لهم تقريب لما كان بعيدا عنهم ، ووضعه باللغة التى ألفوها فانتشر العلم بها بينهم ، بعد أن كان بينها حجاب لا يستطيعون اقتحامه ، وهذه خدمة لا يقدرها قدرها إلا الذين يعلمون أن فى تعميم العلم بهذه البحوث والمسائل تعميما للعلم بالدين ، ونشرا لفضائله بين من كانوا يجهلونه من أهل الجيل الجديد ، وسيكون فيما نرجى سبباً لرقى علمى كبير ، وفاتحة لخير أدبى كثير . وقد قرظنا عدداً يذكر من هذه المؤلفات .

واليوم ترانا إزاء الطبعة الثالثة لكتاب من خير كتبه ، وهو أحسن القصص فى تاريخ الأنبياء وهو يقع فى جزءين أولهما تاريخ الأنبياء عدا أولى العزم منهم ، والثانى فى تاريخ أولى العزم منهم ، ولا يخفى أن مقتحم هذا الموضوع يخوض بحراً لا ساحل له ، ويصادف فيه من أوهام المؤلفين ، وأهواء المبالغين ما يقف بالكاتب المتثبت موقف الحيرة ، ويستدعى غاية الجهد فى التمحيص والتدقيق ، وهو عمل شاق ، ذو تبعة لا يقدرها قدرها إلا العارفون . والذى تبين لنا من الاطلاع على ما قام به مؤلفنا النشط أنه سلك سبيلا من التمحيص تضع الأمور فى نصابها ، ولا تجافى الثابت من الأقوال فى جملتها ، فجاء عمله شاقا مضنياً وجهاده عنيفا مجدياً .

وقد ظهر فى هذا المؤلف الطبعة الثالثة فنشكر له عمله الحسن ، وخدمته القيمة ، ونرجو له التوفيق .

مكتبتنا العربية

تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى

يحتفل المسلمون وخاصة فى القرون المتأخرة بالمولد النبوى فى جميع البلاد الإسلامية ويتساءل الكثيرون هل لهذا الإحتفال من أصل فى عاداتنا الدينية ، وكان قدماؤنا يحتفلون به ، وإلى حد زدنا فيه أو نقصنا منه ؟ وقد أورد حضرة الأستاذ الجليل الشيخ حسن السندوبى رئيس مكتبة وزارة الأوقاف بقبة الغورى مؤلف الكتاب الذى نحن بصدده مثل هذا التساؤل عن بعض إخوانه ، وانتهى حوارهم فيه إلى رجائه بوضع تاريخ له ، فأجاب دعوتهم ووضع هذا الكتاب الثمين . وكان مما قاله فى هذا الموضوع :

« ولا أريد أن أشرح ما لاقيت — فى تحقيق هذه الفكرة وإبرازها على أفضل ما رأيت من الوجوه الصالحة — من العنت والارهاق ، لأن أبواب هذا الموضوع موصدة فى وجه مستفتحها ، ومغاليقه محكمة أمام طارقها . وذلك لأن جمهور المؤرخين وكتاب الأخبار لم يعطوا هـذا الأمر شيأ مما يستحقه من العناية والاهتمام » .

وليس يعلم ما يعانيه الكاتب المحقق فى سبيل تحرير الصواب فيما يعرض له من بحوث ، وما يضحى به فى تقويم أخطاء المؤلفين من قدماء ومحدثين ، وما يبذل من دم القلب ، ونور البصر وضياع الزمن ، إلا من دفع فى أمثال هذه المآزق .

« وهذا كتاب يجد فيه العالم بغيته ، والباحث منيته ، والأديب لذته ، ومحب الاطلاع طلبته ، فهو للعارف مسلاه ، وللشادى معارف ومعلومات » .

وأنا أشهد أنه كذلك . وهو فوق ذلك أثر قيم ، لأديب سجلت له الكتب والمجلات من عيون البحوث ، وروائع الطرف ما أضاف اسمه الى أسماء الخالدين .

وقد جعل كتابه مرتبا على الدول من عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا وهذا عمل يجمع إلى المتعة الأدبية ، الثقة التاريخية ، ولست أذكر للقراء ما جعل أديبنا الكبير هذه البحوث التاريخية من بيانه الساحر ، وأدبه الرائع ، وطرائفه اليانعة ، مما جعل كتابه روضة أدب وعلم وتاريخ ، فله منا الشكر الكثير .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الثامن — المجلد الحادى والعشرون

الموضوع			صفحة
استقبال اليهود للإسلام فى عيد الجلوس الملكى		... ...	٦٧٣
كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر		... ...	٦٧٤
« « « « « الكبير وكيل الأزهر		... ...	٦٧٦
« فضيلة الأستاذ مراقب البحوث الإسلامية		... ...	٦٧٨
« حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر فى ذكرى وفاة الملك فؤاد الأول		... ...	٦٨١
عناصر المدنية فى الديانة الإسلامية بقلم حضرة صاحب العزة مدير المجلة			٦٨٥
ولاية المرأة	... ... « فضيلة الأستاذ الشيخ فكرى ياسين		٦٨٩
ناحية من أسلوب القرآن	... « « « « محمد محمد المدنى		٦٩٥
من توجيهات القرآن	... « « « « عبد اللطيف السبكى		٦٩٨
لغويات	... ... « « « « محمد على النجار		٧٠٤
مفردات فلسفية	... ... « « « الدكتور محمد يوسف موسى		٧٠٩
باب الأسئلة والفتاوى	... ... « لجنة الفتاوى		٧١٣
الحكام السبعة	... ... « فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى		٧١٧
على بن أبى طالب	... ... « « « « محمود النواوى ...		٧٢٠
مع الشعراء	... ... « « « « ابرهيم على أبو الخشب		٧٢٦
أعلام الأزهر	... ... « « « « محمد كامل الفقى ...		٧٢٩
المروءة	... ... « « « « على رفاعى		٧٣٤
العقيدة الإسلامية	... ... « « « « بدر المتولى عبد الباسط		٧٣٨
الصبغ البديعى	... ... « « « « أحمد موسى		٧٤٢
الفضيلة عند أرسطو	... « حضرة الأستاذ سعيد زايد		٧٤٧
الدين والسياسة	... ... « فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم أبو سعيد		٧٥١
الإسلام والصين	... ... « حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران		٧٥٥
السوفسطائيون فى نظر العرب	« فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاهين		٧٦٠
فى محراب إقبال	... ... « « « « كامل عجلان		١٦٤